صعلوك من القدس القديمة

صعلوك من قدس
الاقداس انا
لكن عواطف وجداني
تتألق في جوّ زقاق
الحزن سنا....

فوزي البكري

صعلوك من القدس القديمة

فوزي البكري

صعلوك ...
من القدس القديمة

شعر

صعلوك من القدس القديمة
فوزي البكري
شعر

A Saloak Poet
from the Old City of
Jetusalem

A Collection of poetry
Fawzi Albakri

حقوق الطبع محفوظة للصعاليك
صدرت الطبعة الورقية الأولى عام 1982
عن جمعية الصوت، جمعية لتعميق الوعي الفلسطيني

فوزي البكري شاعر فلسطيني يعيش في القدس
www.fawzibakri.org

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية:
سليمان منصور
مونتاج رقمي:
جمال القواسمي

كانون أول 2013

الإهـداء

إلـى كـل الـراسـفـين قـي الاغـلال..
فـي انـتـظـار مـوسـم الـقـطـاف..
إلـى روح والـدي..

ف. ب.

محتوى

إهداء
محتوى 6
مقدمة.. بقلم د. عادل سمارة 8
القصائد
إيمان 22
هَل يسقط بيتُ المقدس؟ 23
إلَى رُوح وَالِدِي 26
وَتَقُولُ جَارَتُنا العجوز 28
آهات لا تحمل معنى الحسرة 31
نجمة مسحورة 36
زيارة بلا رتوش 38
بكائية بلا دموع 42
على أطلال المدينة 46
أحبُّكِ.. ولو كان اتهاماً 48
نطق الأمير.. فهل سينطق مدفعه؟ 52
عندما ينتصر الجنون 56
الوردة والعصفور 59
من التي 60

إليها.. في حدادها على الحياة 63
عيناك 65
في أذن مغرورة 67
أمل 69
حين يرتفع صوت العهر 71
إليها.. في زمن القحط 74
ملحمة قصيرة 78
شريط على الهدية 80
إلى روح شاعر فلسطين إبراهيم طوقان 83
موال.. في عشية عَرارية 86
في رحم الليالي 90
صعلوك من القدس القديمة 92
إشرب 98
فَي الحي الحزين 99
سهرة للديك 100
المازة ترمس 101
همسة في أذن الكادحين 104
في صحة اللّه 106
باقة شوك على قبر فرعون 111
قيل عن فوزي البكري 116

مقدمة الديوان

بقلم د. عادل سمارة

فوزي البكري، شاعر القدس القديمة أو ربما حزينها الوحيد ومهرها الحرون، هكذا يطيب لي أن أسميه. والحديث عن فوزي البكري، الجديد القديم كالقدس، والسكران المتألم كوجع الوطن المحتل، والنافر الطيِّع كالإنسان الفلسطيني، لذلك كله فإنك حين تكتب عنه، تجدك وقد أخذت تكتب من داخله، يأخذك وإياه توحد مؤلم ممتع، يمرُّ بكما عبر ضياع الوطن وتآمر الطبقات الحاكمة-المالكة، وحضور الاحتلال الثقيل، وجوع الفقراء، وسكر المسحوقين، وعيون أطفال الوطن الساهرة بعد اعتقال الأب أو الأخ الأكبر، ولذا أيضاً حين تكتب عن فوزي البكري، تتجاوز العقلنة والاثواب الرسمية، وتترك لذاتك العنان، تكتب عن إنسان مستلب على مختلف الأصعدة يكافح كي لا يغدو وقد استلبته نفسه أيضاً.

حين تكتب عنه تحس أنك تكتب عن كل فقراء الأرض، عن الإنسان المغرب في هذا العالم، ولذلك لا بد أن تكتب بوفاء. هذا الشاعر غير معروف للكثيرين في الوطن المحتل، مع أنه ليس بالشاعر المقل، فقير قبيل يوم ميلاده، لكنه لم يفكِّر بالارتحال إلى بلاد النفط بحثاً عن الثراء، رغم ان الارتحال - النفطي - في بلدنا كظاهرة هروبية (نبرِّرها أكثر مما نلعنها.)

غير معروف لأنه ليس من إطار سياسي يروج لشعره جاد أم قبح، وليس من أقلية طائفية ليستفيد من علاقاتها (التشاركية) على أرضية شعور الأقليات المقيت، وليس ثرياً ليرشو هنا وهناك فينال حظوة الإعلام عنه في الوريقات الصحفية، وليس أكاديمياً فيحترم إنتاجه حتى لو كان هذياناً، وليس محبوباً لدى ملاك المنابر لأنه يفتقر إلى التهذيب الرفيع، مما جعل قلمه طريد المنابر، وهو فوق كل هذا وذاك يعاني المعاناة الشاملة تحت الاحتلال ككل أهل الوطن المحتل، وهو لكل هذا وذاك حصان القدس القديمة الحرون الجامح الذي لا يراعي الآداب العامة التي يتستر وراءها أدب البرجوازية الصغيرة الناعمة.

قال لي:"أكتب مقدمة الديوان، وأنصفني!" كان هذا القول يحمل بوضوح الشعور بعدم الإنصاف وبالحق المهضوم. وعلى كل حال فأنا لست بالناقد الأدبي وكلُّ ما أقدمه لـ "أبي إسلام" هو كما قال المتنبي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

ولكن ما يقدمه مواطن تحت الاحتلال لمواطن آخر هو بالتأكيد أكثر مما تقدمه جوقة الانظمة العربية (مجتمعة) للقدس العتيقة.

ولا يخفى أن فوزي البكري يدرك أنه مستلب مطارد حين يقول في قصيدته صعلوك من القدس القديمة:

في بعض الصالونات يُردِّد أني
ما عدتُ فلسطينياً
فلماذا.. يا عازف لحني
لأن جميع الجمعيات ''الوطنية'' ترفضني

تزعم اني سكير عربيد
أسكر في رمضان
ولا أصحو في العيد

ملاحظات على الديوان

القدس: اهتمام الشاعر بالقدس، ليس لحاقاً بموجة الإعلام السياسي النظامي العربي بالمدينة، ولا بالموجة الطاغية على الشعر المحلي وإنما تلاحم مع مكانه الوحيد في هذا العالم، دفاعا عن الألفة التاريخية بين الإنسان الفقير، بين الشاعر المرهف ووطنه، بين هذا الإنسان والمكان الذي احتضن معاناته واستلابه واغترابه، الألفة بين الإنسان وتجاربه من جهة، وبين القدس، القدس القديمة مكان وأرضية هذه التجارب وتجارب أخرى أرّخت لأقدم الحضارات.
فوزي البكري هو مصلوب القدس وصليبها، أبديٌّ الارتباط بها والحنين إليها، وهو لا يزال في حضنها العتيق المجرب، لا يبرح أزقتها، معابدها، أماكنها العتيقة (وكلها مكان عتيق) ومع ذلك يتعايشان باحتضان عجيب، فوزي المنتشي بالخمر ومدينة المقدسات، هذه بالتحديد، مفارقات العشق بين الصعلوك والمدينة المقدسة.
لذلك كثيراً ما جرت القدس على لسانه، وخطها قلمه في متن القصائد أو عناوينها، فهي تدخل في عنوان الديوان نفسه، كما يقول فيها واصفاً حالها المتردي:

ماذا في بيت المقدس

غير الألم وغير الفقر وغير الجوع

وليس خافياً كذلك أن القدس عند فوزي البكري هي رمز للوطن ككل، ولعل ما يزيد قيمتها كرمز في نظر الشاعر هو تباكي الأنظمة العربية والإسلامية عليها رغم توزيع مهرها محاصصة بين هذه الأنظمة.

الموقف السياسي: يتضح في شعر فوزي البكري موقفه الناقد بلا حدود للأنظمة العربية من خلال دورها تجاه القضية الفلسطينية، الدور المتراوح بين التواطؤ-والقتل، وهو في هذا يعبر عن قناعات الشارع الفلسطيني بشكل بريء لا تمنعه قيود التحفظات السياسية، ولا ممالأة الحكام بغية التنفع من هذا النظام أو ذاك في حفنة أموال صمود أو غير ذلك. يقول في قصيدة"هل يسقط بيت المقدس":

عاصمة العباسيين
على بعد
قبل قليل كان مفاعلها ينهار
عاصمة الأمويين
مدافعها تنسحب إلى الخلف
وأقطاب الحرب تولي الأدبار

إن فوزي يخشى بالفعل انهيار بيت المقدس طالما كانت الانظمة العربية على هذا الوضع؛ وفي قصيدة آهات لا تحمل معنى الحسرة يقول :

ونبي النفط الأعظم في مكة
يستورد من إيران الكافيار

وفي قصيدة "بكائية بلا دموع" :

بين يديك الراعشتين حنيناً
تتعطّل بوصلة الأنظمة العربية
في كل بحار الصمت

إلى أن يتناول بالنقد في قصيدة"صعلوك من القدس القديمة" دور الأنظمة العربية في إرسال اموال الصمود إلى المناطق المحتلة، هذه الأموال التي تخدم في المحصلة النهائية التوجه البرجوازي العربي لبناء قاعدة برجوازية في المناطق المحتلة ولا تهدف كما يقال صمود الأهل، كل الأهل:

سبحان النكبة
سبحان النكبة
سبحان الدعم المبعوث صموداً
في جيب''المبعوص'' نقوداً

الطبقية والرفض: وينتقل فوزي البكري من موقفه المضاد للأنظمة العربية إلى موقفين منفصلين متصلين في آن واحد: الموقف الوطني والموقف الطبقي، حيث يستقر وطنياً رافضاً للحلول التسووية رغم تزايد زبائن هذه الحلول، وطبقياً إلى جانب الفقراء؛ يقول في قصيدة "آهات لا تحمل معنى الحسرة":

آهٍ .. حين تكون

قصور الأرض المحتلة ماخوراً
ورجال العرش على الجسرين
وريقات قمار

وعن الرفض في نفس القصيدة يقول:

ينسكب الغضب على الأعصاب
كما تنسكب على وجه الأطفال النار
وتحس بأن الرفض
يجف.. يجف.. يجف
ويهطل
أمطاراً.. أمطاراً.. أمطار!

نلاحظ هنا أن الرفض لا يجف بل يزهر رغم الجفاف ويعطي. ويقول أيضاً في قصيدة "بكائية بلا دموع" :

يا طفلاً
لا والدة ترضعك العنف
ولا والد يرعى فيك الرفض

يتضح هنا أن رفض الشاعر تعبير عن القناعات الشعبية للرفض، لا عن قناعات الرموز السياسية وتابعيها في التسويات. ان رفض الشاعر على بساطته هو حقيقة ما تريده الجماهير الفلسطينية، وليس ما تم تشويه الجماهير به منذ عدة سنين؛ وفي قصيدة "موال في عشية عرارية" يؤكد فوزي موقفه الطبقي:

إخوان سلمى وإن كانوا على ضعة
فإنهم وكبار القوم سيَّان
بيع العروض لهم في الناس منقصة
فكيف يا صاحبي من باع أوطاني

ويقول في قصيدة "صعلوك من القدس القديمة":
يا فقراء الأرض المحتلة "شوفوا"
خلف ستارات المخمل والخز
كيف تكون "الهيصة" والهز

هذا الموقف الطبقي المفضوح يؤذي أسماع ملاك المخمل والخز فعلاً، ولكن عفواً يا هؤلاء، فأنتم هكذا رغم وجود الاحتلال، إنها الطبقات، وبالتالي الفوارق التي تترتب عليها فوارق في الموقف الوطني؛ إلى أن يقول في قصيدة "في صحة اللّه":
يا قائم ليل
يبهره المحراب وإعجاز القرآن
ولا يبهرك الإعجاز الناخر
في عظم المسحوقين
على بعد رغيف
لا يعجنه المعراج
ولا يخبزه الإسراء

التأثر: فوزي البكري لا يأخذ على نفسه إعجابها بشاعر ولا ينكر

ذلك عن الناس، فهو يرى في نفسه الامتداد الحديث لـ مصطفى وهبي التل -عرار- كموضوع، كتحد وليس كفن، ولا غضاضة في أن يكون فوزي في مثل هذا الامتداد.

في هذا المعرض يمكننا القول إن الشاعر فوزي البكري تأثر بعدة شعراء وعلى عدة مستويات:

تأثر بـ عرار في حدته الاجتماعية وخمرياته.

تأثَّر بـ النواب في مفردة الشتيمة السياسية والموقف الطامن ضد الأنظمة العربية، الشعر المسلح، والموقف الايدولوجي الشيوعي الثوري، أي تأثَّر بالنواب كموضوع.

تأثر بـ شوقي كفن وقاعدة لغوية.

تأثَّر بـ إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود في الشعر الوطني.

إن مختلف هذه التأثيرات لم تطمس شخصية وشاعرية فوزي المتميزة. فإذا كان فوزي -كما رأينا- قد نقد الأنظمة العربية وهاجمها فقد فعل ذلك عرار حين قال للملك عبد اللّٰه:

يا لاعب الشطرنج في رغدانـــه
ومحكم الإفرنج في أوطانه
سموك صقر قريش لا لم ينصفوا
يا ليتهم سموك من غربانه

ويقول منتصراً لـ عرار:

آه .. حين يكون المضطهد
على أرض الأردن
نديم و"عرار"

إلى أن يهدي عراراً قصيدة خاصة "موال في عشية عرارية" يقول فيها:

وقد تنبأتَ أن القدس لو ذهبت
فكم سيبقى بها سني ونصراني
أيه عرار القوافي لم يعد رمق
بي للقوافي وإن كانت ترجاني

أما عن تأثُّره بـ النواب، والذي تأثر به الكثيرون كشاعر شيوعي ثوري في موقفه الايدولوجي والطبقي والفني واللغوي، فقد استعمل فوزي العديد من مفرداته ومن طرق تعامله وتشكيله للمفردة حيث يقول:

كونوا لهباً
يا أكباد الشعب المقروحة
كونوا ناراً
أما نحن
فلن نبكي
نخشى أن يغلبنا الدمع
فيطفئ فيكم هاتيك الجمرات

إن ما يؤخذ على النواب في صفع الأنظمة العربية بالأحذية، لا بُد أن يؤخذ على فوزي البكري أيضاً، ولكن على الذين يرفضون النواب ان يفتشوا في ملاحف أدمغتهم جيداً ليجدوا تلك الخلايا المحافظة

التي رنخت بأيدولوجيا الأنظمة العربية التابعة، ولا بد للثوريين منهم أن يجتثوها إن كانوا حقاً كذلك.

وفيما يتعلق بالتأثر بـ أحمد شوقي، نجد ذلك في قصيدة "ملحمة قصيرة"، التي يعارض فيها سينية شوقي والبحتري، نفس البحر ونفس القافية:

عادة الدهر أن يجيء بنحسي
أين مجدي وأين تالد أمسي
وعظ الشاعرين إيوان كسرى
وقصور علَى ثرى أندلسي

وهنا يذكرنا بقول شوقي:

وعظ البحتري أيوان كسرى
وشفتني القصور من عبد شمس

وكذلك قصيدة فوزي "إليها في حدادها على الحياة":

عاتبت عقلي واتهمتُ فؤادي
وجفوت حزمي واعتزلت عنادي

وهذا يذكرنا بقصيدة شوقي:

ودعت أحلامي بقلب باكي
وطويت من طرق الملاح شراكي

إن تأثره بـ شوقي لا يكمن في المعارضة وحسب وإنما في الشعر المنظوم من جهة، والتماسك والعمق اللغويين من جهة أخرى.

الشاعرية المستقلة: رغم تأثر فوزي بأكثر من شاعر عربي، إلا أن لشعره شخصيته المستقلة، التي تجمع في وحدة جدلية متميزة بين قدرته الفنية وقاعدته اللغوية وخلفيته الإسلامية وتحلله من

الرسميات والمجاملة الأدبية وبين تأثُّره بـ النواب وشوقي وعرار.

الصورة: عند فوزي ممتدة من جهة ومتماسكة من جهة أخرى، علاوة على كونها صورة عميقة من حيث التشبيه، ومن حيث سيطرتها على المفردة وتطويعها لخيال الشاعر؛ وفي قصيدة "آهات لا تحمل معنى الحسرة" يقول :

آه .. من ليل يحبل بالليل
كما تحبل بالصمت الأسرار
آه من سهدك
والفجر حرون
والنجمة تلهو في أحضان مدار

نلاحظ هنا الجمع بين المتناقضات في صورة منسجمة: الصمت، الأسرار، السهر، الفجر الحرون من جهة ولهو النجمة من جهة ثانية؛ كما يقول في نفس القصيدة:

آه.. من ضريك في الآفاق
تريد رغيف الشمس
وقد طال السفر
وقام جدار حلف جدار.. خلف جدار

وفي قصيدة "بكائية بلا دموع":

يا طفلاً
ينمو في أحشاء الثورة

ما زلتَ جنيناً
تحتَ وفوق غشاء الدم
فيا هول مخاضك
زلزالاً
يبعث أرواح الشهداء
تزغرد .. رشاشات

وفي قصيدة "إلى إبراهيم طوقان":

جرزيم في صدر أبي شامخ
عيبال في عجز أشم أبلق

حيث يشبه الجبلين بصدر وعجز بيت الشعر من ناحية، ويشبه الأول بالرجل القوي والآخر بالحصان، وفي هذا رؤية جمالية وقدرة على لجم الصورة وتطويعها، تقابله صورة أخرى في قصيدة"في صحة اللّه" حيث تتجلّى قوة الصورة في مضمونها الطبقي:

يا قائم ليل
يبهره المحراب وإعجاز القرآن
ولا يبهرك الإعجاز الناخر
في عظم المسحوقين
على بعد رغيف
لا يعجنه المعراج
ولا يخبزه الإسراء

أما عن خصوصية فوزي فيما يتعلق بالأدب المكشوف فقوله:

آه من عفن الفكرة
حين يكون الوطن
على باب المرحاض شعار

هذا إلى جانب تعبير هذه الصورة عن قمة الانفعال. أما عن استقامة الموسيقى ونعومتها، فيقول في قصيدة "عيناك":

عيناك مثل بحيرتين
على بساط الثلج
والنظرات موجات البريق
قلبي على شطيهما يلهو
وقلبي في عبابهما غريق
عسلية العينين
عبر ضبابك الغجري
اكتشف الطريق

ويظل فوزي على ارتباط بقاعدته الدينية التي ورثها عن أبيه، يقول في قصيدة "حين يرتفع صوت العهر":

ولا تثريب ان تصغي
لهاتف نفسك الجوفاء
وتصدع بالذي تؤمر

حيث أخذ الشطرة الأخيرة عن القرآن : "فأصدع بما تؤمر" إلى أن يقترب من الصوفية في خمرياته حين يقول في قصيدة "إشرب":

إشـرب فـإنَّكَ بالمدامة بالـغ
ما قال روح اللّٰه فـي الإصحـاح

كـما يقـول فـي قـصيـدة "آهـات لا تحـمل معـنـى الحـسـرة" :

آهٍ .. حـين يـكـون "مـهـاجـرنـا" طـفـلاً
وكـتـائـب بـيـروت "الأنـصـار"

وهـكـذا، تتوحَّد لدى فوزي البـكـري اللـغـة العـربـيـة الجـميـلـة والمتـمـاسـكـة، والموقـف الـطـبـقـي المنحـاز لـصـالـح الـفـقـراء، والموقـف الـسـيـاسـي المضاد للرجـعـيـات العـربـيـة، والـسـكـر فـي مـديـنـة المقـدسـات، والخروج على المألوف الديني إلى جانب خلفية إسلامية. كل هذه لا تتأتى لشاعر تأثر بشاعر آخر ولا تشكِّل موضوعا وشخصية مستقلة واحدة إلا عند فوزي البكري.

د. عادل سمارة

إيمان

آمَنْتُ بِالشَّعْبِ العَظِيمِ وَبِالْهَوَى

وَالخَمْرِ والأَوْطَان وَالأَصْفَادِ

أَرْكَانُ دِيني خَمْسَةٌ «مَعْقُوْلَةٌ»

فَبِأَيِّ حَقٍّ تَدَّعِي الحادي؟

هَل يسقط بيتُ المقدس؟

قَدَّسَهُ اللّٰهُ.. فَسُبْحَانَ اللّٰهُ

مَاذَا فِي بَيْتِ المَقْدِس
يَا عَرَبَ النَّفْطِ/ القَحْطِ/ السَّخْطْ
يَا كُلَّ دَرَاويشِ الجامِعَةِ العَرَبِيةِ
فَلْتَسْقُطْ كُلُّ مَنَابركم
وَلْيَسْقُطْ كُلُّ أسَاطِينِ اللَغْطْ

* * *

فِي قَلْبِ العَرَبِ الرُّحَلِ عَنْ أَقْصَاهُمْ
تَتَسَلَّلُ آلاتُ الحَفْرِ
فَمَاذا يَبْقَى إنْ سَقَطَ القَلْبْ؟
هَلْ نَرْفَعُ أَيْدِيَّنَا بِالدَّعَوَات
وَنَدْعُو اللّٰه
بِأَنْ تَرْفَعَ أَيْدِيَهُمْ.. يَا رَب!!

يَا عَبْدَ المَلِكِ اسْتَيْقِظْ

فَالقُدْسُ تَنُوءُ بِصَخْرَتِها
والحَرَمُ القُدْسيُّ يَنامُ على زِلْزَالْ
يَا عَبْدَ المَلِكِ اسْتَيْقِظْ
لَنْ تَفْرَحَ بِشُمُوخِ القُبَّةْ
إِنْ دَامَ الحَالُ على هَذَا الحَالْ!

* * *

هَلْ يَسْمَعُ سَاداتُ قُرَيْش
هَلْ يَسْمَعُ عَبْدُ المُطَّلِبِ اللُعْبَةَ
أَمْ أَنَّ لِبَيْتِ اللّٰه -فقط-
رَبَّاً يَحْمِيْهْ
هَلْ يَسْمَعُ والأَقْصَى بَعْدَ غَدٍ
عِنْدَ غُرُوبِ المجْدِ
سَتَنْهَارُ أَسَافِلُهُ
وَتَطِيحُ أَعَالِيهْ

* * *

يا كَعْبَةُ.. يا قِبْلَةُ
إِنَّ شَقِيقَتَكِ الكُبْرَى
قَدْ ثَكِلَتْ كلُّ قَدَاسَتِها..
يَا كَعْبَةُ
مَاذَا يَحْدُثَ للثَّكْلى
(حِيْنَ سِيُوْفُ اللّٰه جَمِيعاً
تَعْجَزُ عَنْ تَأْمِينِ حِرَاسَتِهَا؟!)

* * *

عَاصِمَةُ العَبَّاسيِّينَ
عَلَى بُعْدٍ
قَبْلَ قليلٍ كَانَ مُفَاعِلُهَا يَنْهَارْ
عَاصِمَةُ الأُمَويينَ
مَدَافِعُهَا تَنْسَحِبُ إلَى الخَلْفِ
وَأَقْطَابُ الحَرْبِ تُوَلِّي الأَدْبَارْ
ماذا يفعل بيت المقدس
يا عرب النحس
وَقَدْ نَزَلَ الجُّنْدُ عَنِ الأَسْوَارْ؟!

* * *

مَاذا في بَيْتِ المَقْدِس..
غَيْرُ الألَم وَغَيْرُ الفَقْرِ وَغَيْرُ الجوعْ
مَاذَا فِي بَيْتِ المَقْدِسِ..
غَيْرُ الأَقْصَى..
بَيْتاً لِمَسَاكِينِ الأَرْضِ المُحْتَلَّةِ مَرْفُوعْ
هَلْ يَسْقُطُ بَيْتُ المَقْدِسِ؟
يَا عَارَ العَرَب
وَيَا خِزْيَ الإِسْلام
وَيَا حُزْنَ التَّارِيخِ المَسْمُوعْ!

إِلَى رُوحِ وَالِدِي*

- وهو الشيخ المناضل ياسين البكري، إمام المسجد الأقصى المبارك، رحمه الله.

أَبَتَاهُ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
نَأْتِي وَنَمْضِي عَابِرِيْنَ سَبِيْلا
وَلَعَلَّ تَعْزِيَتِي بِفَقْدِكَ كَوْنُهَا
عَبَثاً، وَكَوْنُكَ فِي الجِنانِ نَزِيْلا
غَرَسُوْكَ فِي طُهْرِ التُّرَابِ فَأَيْنَعَتْ
بِالدَّمْعِ أَحْزَانِي وَكُنَّ ذُبُوْلا
لَكِنَّنِي أَخْشَى إِذَا أَظْهَرْتُهَا
أَبْكِي حَبِيْبَاً، أَوْ أَسُرُّ عَذُوْلا
أَنَّى يُشِيْعُ القَبْرُ حَوْلَكَ ظُلْمَةً
وَلَقَدْ أَنَرْتَ مِنَ التُّقَى قِنْدِيْلا
وَزَهِدْتَ فِي الدُّنْيَا فَعِشْتَ مُكَرَّمَاً
وَطَمِعْتَ فِي الأُخْرَى فَمِتَّ جَلِيْلا

طَيْرَاً عَلَى الأَقْصَى تَـرُوحُ وَتَغْتَدِي
تَـرْوِي الحَدِيْـثَ وَتَقْرَؤُ التَّنْزِيْلا
مَرِضَتْ جَوَانِحُكَ الزوائِلُ وَانْضَوَى
جَسَدٌ تَهَـلْهَلَ عِلَّـةً وَنُـحُـوْلا
لَـكِـنَّ رُوْحَـكَ لازَمَـتْ عَلْيَاءَها
غَـرَّاءَ تَسْخَـرُ بِالسّقَـامِ بَتُوْلا
الصَّبْـرُ فِـي أَيّـوبَ صَبْـرُ نُبُوَّةٍ
وَصَبَرْتَ أَنْتَ وَمَا بُعِثْتَ رَسُوْلا
وَلَقَدْ ظَنَنْتُ المَـوْتَ قَبْـلَكَ رَاحَـةً
فَوَجَدْتُـهُ أَقْسَـى الخُطُوبِ نُزُوْلا
وَالحُزْنُ أَعْمَقُ مَا يَكُوْنُ إِذَا سَـرَى
فَأَثَـارَ فِي نَفْسِ الحَزِيْنِ ذُهُوْلا
وَإِذَا تَزَاحَمَتِ الهُمُـومُ عَلَى امْرِئٍ
أَضْحَـى العَظِيْمُ بِنَاظِرِيْهِ ضَئِيْلا

نيسان ١٩٧٣

وَتَقُولُ جَارَتُنا العجوز

وَتَقُولُ جَارتُنَا العَجُوْزْ
لا بُدَّ يَوْمَاً أَنْ «تَهُوْنْ»
لا بَأسَ يَا زَمَنَ العَذَابْ
يا سَاقِيَ الظَّمْآنِ أَكْوَابَ السَّرَابْ
فَلْتَمْتَلِئ كُلُّ السُّجُونْ
وَلْيَرْقُصِ السَّجَّانُ مُنْتَشِيَاً
عَلَى نَغَمِ الأَنِيْنْ
وَلْيَطْفِئَ الجَلادُ أَعْقَابَ السَّجَائِر
في وَجْنَتَيْنِ أَسِيْلَتَيْنِ
وَفِي جَبِينْ
نَقَشَ العَذَابُ عَلَيْهِ.. لا
لَنْ أَسْتَكِيْنْ

***

وَتَقُولُ جَارتُنَا العَجُوْزْ
لا بُدَّ يَوْمَاً أَنْ «تَهُوْنْ»
قَهْقَهْ فَإِنَّ الرَّعْدَ

قَهْقَهَةُ السَّجيْنْ
كَفْكِفْ دُمُوْعَكَ
لا يُنَالُ الحَقُّ بِالدَّمْعِ الهَتُوْنْ
أَعْلِنْ جُنُوْنَكَ..
فَالجُّنُوْنْ
هُوَ أَنْ تَكُوْنَ اليَوْمَ عَاقِلْ
دَغْدِغْ بِلُثَّتِكَ السَّلاسِلْ
وَأَقْرَأْ عَلَى سَمْعِ الرِّفَاقِ
وَكُلِّ مُعْتَقَلٍ مُنَاضِلْ
بَطْنُ المجَاعَةِ
يَا رِفَاقَ النُّوْرِ
حَامِلْ
وَسَوَاعِدُ الأَحْرَارِ
تَنْتَظِرُ الجَّنِيْنْ

***

وَتَقُوْلُ جَارَتُنَا
وَلَكِنِّي أَقُوْلُ
لا بُدَّ
يَوْمَاً..
أَنْ تَكُوْن.. وَأَنْ نَكُونْ
رُكَّابَ قَافِلَةٍ.. تَسِيْرُ

حُدَاؤُهَا.. ضَحِكُ الصِّغَارِ
وَكَغْكَغَاتُ الطِّفْلِ فِي حِضْنٍ أَمِيْنْ
وَتَقُولُ جَارتُنَا العَجُوْزْ
لا بُدَّ يَوْمَاً
أَنْ تَهُوْنَ وَأَنْ تَهُوْنَ وَيَنْتَهُوْنْ!!

أيار ١٩٧٤

آهات لا تحمل معنى الحسرة

آهٍ حِيْنَ يَكِرُّ الزَّمَنُ
يَصُبُّ عَلَى الأَشْيَاءِ
ذُهُوْلاً وَشُرُوْدَاً.. وَدُوَارْ
حِيْنَ يَمُوْتُ الحُبُّ
عَلَى الشَّفَتَيْنِ
كَمَوْتِ القَطْرَةِ
فَوْقَ خُدُوْدِ النُّوَّارْ

آه .. مِنْ لَيْلٍ يَحْبُلُ بِاللَّيْلِ
كَمَا تَحْبُلُ بِالصَّمْتِ الأَسْرَارْ
آه مِنْ سُهْدِكَ
وَالفَجْرُ حَرُون
وَالنِّجْمَةُ تَلْهُو فِي أَحْضَانِ مَدَارْ
آهٍ حِيْنَ يَكُونُ سِرَاجُكَ
مَخْنُوْقَ الشُّعْلَةِ
والرَّأسُ ثَقِيلٌ مُزْدَحِمٌ بِالأَفْكَارْ

آهٍ مِنْ عَفَنِ الفِكْرَةِ
حِيْنَ يَكُوْنُ الوَطَنُ
عَلَى بَابِ المِرْحَاضِ شِعَارْ
آهٍ.. مَا أَقْسَى الفَرْحَةَ
حِيْنَ يَكُوْنُ الوَطَنُ
حُرُوفاً عَجْمَاءً
فَوقَ تَصَاريحِ الزُّوَّارْ

آهٍ.. مِنْ زمَنٍ
تَغْرَوْرِقُ فيهِ عُيُونُ التَّارِيخِ الوَاجِمِ
بِدِمُوعٍ فِي لَوْنِ القَارْ
آهٍ .. حِيْنَ تَغِيْبُ
قَرِيْحَةُ مَقْهُوْرٍ
كَغِيَابِ اليَقْظَةِ
تَحْتَ خُيُوْطِ الأَسْحَارْ
حِيْنَ تَكُوْنُ الرَّحْمَةُ
فِي قَلْبِ حَبِيبٍ
سِكِّيْنَاً فِي كَفِّ الجَزَّارْ

آهٍ .. حِيْنَ يَكُوْنُ المُضْطَهَدُ
على أَرْضِ الأُرْدُنِّ
نَدِيمٍ وَ «عَرَارْ»
آهٍ .. حِيْنَ يَكُوْنُ جَنِيْنٌ

فـي بطْنِ الأُمِ
جُنُوْنَاً
وَيَكُوْنُ مَخَاضٌ كَالإعْصَارْ
آهٍ .. حِيْنَ يَصُبُّ البُؤْبُؤُ
فـي قَلْبِ العَيْنِ شَوَاظَاً
كَالجَمْرَةِ فِي المَوْقِدِ
تَرْشُقُ زَخَّات شَرَارْ

آهٍ .. حِيْنَ يَكُوْنُ الوَجْهُ العَرَبِيُّ
«أَصِيْلاً»
وَالشَّفَقُ الأَحْمَرُ
فِي الزِّنْزَانَةِ
لا يَعْرِفُ لَيْلاً مِنْ وَضَحِ نَهَارْ
آهٍ .. حِيْنَ يَكُوْنُ «مُهَاجِرُنَا» طِفْلاً
وَكَتَائِبُ بَيْرُوْتَ «الأَنْصَارْ»

آهٍ .. مِنْ آهٍ ذَابَتْ
فـي الآهَات
كَمَا ذَابَتْ أَرْضٌ عَطْشَانَةُ
نَسِيَتْهَا الأَوْقَافُ عَلَى «جَبَلِ النَّارْ»
حِيْنَ يَكُوْنُ العُذرُ حِذَاءً
فـي قَدَمِ الإِنْذَارْ

آهٍ .. حِيْنَ تَكُوْنُ
قُصُورُ الأَرْضِ المُحْتَلَّةِ مَاخُوْرَاً
وَرِجَالُ العَرْشِ عَلَى الجِسْرَيْن
وُرَيْقَاتِ قِمَارْ
آهٍ.. حِيْنَ يَكُوْنُ النَّفْطُ إِلَهَاً
وَحَجِيْجُ البَاكِسْتَان جِيَاعاً
وَنَبِيُّ النَّفْطِ الأَعْظَمُ
فِي مَكَّةَ
يَسْتَوْرِدُ مِنْ إِيْرَانَ الكَافيارْ

آهٍ.. مِنْ ضَرْبِكَ فِي الآفَاقِ
تُرِيدُ رَغِيْفَ الشَّمْسِ
وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ
وَقَامَ جِدَارٌ خَلْفَ جِدَارٍ.. خَلْفَ جدارْ

آهٍ .. مِنْ سَهَرِ الغَوْطَةِ
يَا بَرَدَى
وَالنِّيْلُ تَنَامُ عَلَى كَتْفَيهِ
الأَهْرَامُ الثكلَى
وَمَدَافِعُ مِنْ كُلِّ عِيَارْ
لَحْظَتَهَا
تَنْشَطِرُ الشَّمْسُ وَتَلْتَهِبُ الأفلاكُ
وَتَحْتَرِقُ الأَقْمَارْ

لَحْظَتَهَا
يَنْسَكِبُ الغَضَبُ على الأَعْصَابِ
كَمَا تَنْسَكِبُ عَلَى وَجْهِ الأَطْفَالِ النَّارْ
وَتُحَسُّ بِأَنَّ الرَّفْضَ يَجِفُّ.. يَجِفُّ
يَجِفُّ الرَّفْضُ
وَيَهْطُلُ
أَمْطَاراً.. أَمْطَاراً.. امطارْ!

تموز ١٩٧٥

نجمة مسحورة

يَسِيْلُ اللَّيْلُ فَوْقَ أَزِقَّةِ القُدْسِ
وَلَيْسَ لَدَيَّ
غَيْرُ الصَّمْتِ.. وَالأَفْكَارِ وَالأَمْسِ
وَأَطْفَالٍ
نِيَامِ الجَفْنِ
أَيْقَاظِ الرُّؤَى وَالقَلْبِ وَالمَعِدَةْ
وَمِدْفَأَةٍ
بِغَيْرِ النَّارِ مُتَّقِدَةْ
تُشِيْعُ الدِّفْءَ
لا فِي الجِسْمِ
بَلْ فِي الرُّوْحِ وَالنَّفْسِ
تُفَاجِئُنِي
وَتَدْرِكُ أَنَّ عِنْدَ المَوْقِدِ المَعْبُودِ «قَارُوْرَةْ»
تُدَاعِبُهَا
وَتَرْشُفُ رَشْفَةً مِنْ ظَاهِرِ الكَأْسِ
تُقَلِّبُهَا

- تَبَارَكَ مَوْكِبُ اللَذَّاتِ وَالأُنْسِ-
هِيَ السَّلْوَى
فَمَا بِاللَيْلِ مِنْ حُزْنٍ
وَمَا بِالْحُزْنِ مِنْ يَأْسِ

كانون ثانٍ 1977

زيارة بلا رتوش

القُدْسُ يَا حَبِيْبِي
القُدْسُ لَمْ تَزَلْ
تَضِيْعُ فِي الزحَامْ
تَمُوْتُ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي العَامْ
تَعِيْشُ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي العَامْ
لَكِنَّهَا -كَمَا عَهِدْتَهَا-
تُفَجِّرُ الفُوْلاذ فِي أَوْرِدَةِ الظَّلامْ
* وَدَارُنَا؟
- أَحْجَارُهَا كَرِيْمَةٌ وَسَقْفُهَا تُرَابْ.
* ووالدي؟
- عُيُوْنُهُ حَزِيْنَةٌ وَوَجْهُهُ اغْتِرَابْ.
* أَلَمْ يَزَلْ..
- هِمَتُّهُ عَالِيَةٌ
يَبْحَثُ عَنِ بَقَايَا اللّٰهِ فِي الكِتَابْ
* وَإِخْوَتِي الصِّغَار؟
- أَكُفُّهُمْ مَحْرُوْقَةٌ فِي صَخْرَةِ الإِسْرَاءْ
صَلاتُهُمْ

البَوْلُ وَالتَّصْفِيرُ فِي العَرَاءْ
وَالبَحْثُ في البُسْتَان
عَنْ شَقَائِق الفِدَاء!!
* وَأَهْلُ حَيِّنَا؟
- فَاطِمَةٌ مَجْنُوْنَةُ الضَّفَائِرْ
* وَمُصْطَفَى الأُسْتَاذُ؟
- يَلْعَنُ الإِمْلاءَ وَالإِنْشَاء
يَصْفَعُ الدَّفَاتِرْ
* وَأَحْمَدُ البَقَّالْ؟
- يَزُفُّ لِلأَرْجِيْلَةِ البَشَائِرْ
* وَبُوْلُصُ النَّجَارُ؟
- يَصْنَعُ الصُّلْبَانَ
يَحْرِقُ الصُّلْبَانْ
بِالأَمْس حَطَّمَ المِذيَاعْ
لأَنَّهُ أَذَاعَ نُكْتَةً
يَقُولُ إِنَّهَا تُسَبِّبُ الصُّدَاعْ
ثُمَّ اسْتَوَى لِلْكَأْسِ
جَالَ جَوْلَةً
وَقَالَ إِنَّ «النَّاصِرَةْ»
عَاصِمَةُ «القِطَاعْ»
* وَمَا الَّذِي تَقُوْلُهُ الجَرَائِدْ؟
- لا شَيء غَيْرَ العُهْرِ وَالقَصَائِدْ
البَعْضُ يَمْسَحُ «البَلاطَ»

وَالبَعْضُ يَفْهَمُ التَّارِيْخَ
أَنَّهُ وَاسِطَةُ العُقُوْدِ وَالقَلائِدْ
* وَالنَّاسُ؟
- بَيْنَ «سَائِلٍ» وَ «جَامِدْ»
* جَارُتُنَا العَجُوزُ؟
- كَعَهْدِهَا تُوَزِّعُ الثِّمَارَ فِي تَمُّوْز
وَتَقْبُضُ الهَوَاءَ فِي تِشْرِيْن
لَكِنَّهَا لا تَعْرِفُ الأَنِيْنْ
* كَيْفَ يَمُرُّ الوَقْتْ .. نَهَارُكُمْ وَلَيلُكُمْ؟
- فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُوْلَدُ أَلْفُ حُلْمْ
يَمُوْتُ أَلْفُ حُلْمْ
لَيْلُ القُصُوْرِ جَانِحٌ لِلسِّلْمْ
وَلَيْلُنَا
قُمَامَةٌ عَلَى الطَّرِيْقْ
نَهَارُهُمْ حَرِيْقْ
وَنَحْنُ نَشْرَبُ اللَهِيْبَ كُلَّ يَوْمْ
* أَعْصَابُكُمْ؟
- حَمْرَاءُ غَيْرُ قَانِيَةٍ
آفَتُهَا الصَدَأ
* أَحْلامُكُمْ؟
تَسْرَحُ كُلَّ ثَانِيَةٍ
لَكِنَّهَا نَحِيْلَةٌ
فِي القَحْطِ عَادَةً لا يَنْبُتُ الكَلأ.

قُلُوْبُكُمْ؟
- مَع الَّذِيْنَ يَزْرَعُوْنَ الشَّوْكَ وَالوُرُوْدْ
فِي الأُفْقِ القَرِيبِ وَالبَعِيْدْ
* وَأَنْتِ يَا حَبِيْبَتِي؟
-وَاللّٰهِ لَوْ سَأَلْتَ عَنِّي أَوَّلاً
لَمَا رَأَيْتُ فِي عينيك قُبَّةَ السَّمَاءْ
وَباخْتِصَارْ
مَا زلْتُ يَا حَبِيْبِي
هِوَايَتِي المُطَالَعَة
فِي مَنْظَرِ الخِيَام بَعْدَ كُلِّ غَارَةٍ
وَوَجْهِكَ الحَبِيْبَ وَهْوَ قَائِلٌ
بَأَنَّهُ الوَدَاعُ.. لا
وَإِنَّمَا إِلَى اللِقَاءْ

آذار ١٩٧٧

بكائية بلا دموع

يا نهرَ الأطفالِ تدفَّقْ
حطِّم كلَّ صخورِ الموتِ
ورنِّخْ في صحراءِ الدمِّ الواحاتْ
ما ماتَ الثائرُ في جسرِ الباشا
ما ماتَ الثائرُ في الوحداتْ
لكن ضميرَ الجزارينَ
على مزبلةِ التاريخ
وتحتَ حذاءِ الثائرِ ماتْ

يا طفلاً
ينمو في أحشاءِ الثورةِ
ما زلتَ جنيناً
تحتَ وفوقَ غشاءِ الدمِّ
فَيَا هَوْلَ مخاضِكَ
زلزالاً
يبعثُ أرواحَ الشهداءِ

تُزغردُ .. رشاشاتْ

***

يا طفلاً
لا والدةً تُرضِعُكَ العُنْفَ
ولا والدَ يرعى فيكَ الرفضَ
هنا..
يا زينَ الأطفالِ
ستعرفُ ما معنى الموتِ
وما معنى صمتِ الأمواتْ

***

يا مَنْ فقَدَ الماضي والحاضرَ
في غَسقِ الليلِ القمعيّ
دموعُ عيونِكَ بُشرى
أن شعاعَ الفَجْرِ الواعدِ.. آتْ

***

لا تسألْ يا طفلُ لماذا
بينَ يديْكَ الراعشتين حنيناً
تتعطّلُ بوصلةُ الأنظمةِ العربيةِ
في كلِّ بحارِ الصمتِ
ويصبحُ للدنيا في وجهِكَ
آلاف الوجهاتْ

***

لا تسألْ يا طفلُ لماذا..

وليسكنْ في وجدانِكَ حِقْدٌ
أقدسُ من مَهْدِ يَسوعَ
ومنْ كَعبَةِ مكَّةَ
فالاصنامُ هنا.. وهناكَ
مُصَفَّحَةٌ لا تَهدمُها
إلا نيرانُ الثوراتْ

***

لا تعجبْ
يا نوَّاراً يزهرُ في «أيلولْ»
كيفَ تكونُ غريباً.. ومقيماً
لا أهلَ.. وكلُّ الأهلِ هنا
لا تعجبْ
ستظَلُّ فروعُكَ تَخْضَوْضِرُ
في كلِّ فصولِ القحطِ
لأن دماءَكَ
ما زالت تتفجَّرُ شلالاتْ

***

يا أطفالَ بلادي
لا بأسَ عليكم فتعالَوْا
لا شيءَ تغيَّرَ
طعمُ الليل هنا
يلسعُ كالعطشِ
صباحُ القدسِ شَحوبٌ

فـي لـونِ الـقـيـدِ
وإن عِـشْـتُـمْ «بـيـروتَ»
فـقـد عِـشْـنـا فـي الأرضِ
المحـتـلـةِ بـيـروتـاتْ
***
كـونـوا لـهـبـاً
يـا أكـبـادَ الـشـعـبِ المـقـروحـةَ
كـونـوا نـاراً
أمـا نـحـنُ
فـلـن نـبـكـي
نـخـشـى أن يَـغْـلِـبَـنـا الـدمـعُ
فـيـطـفـئَ فـيـكـم هـاتـيـكَ الجـمـراتْ
***
أيـتـامـاً أصـبـحـتُـمْ؟!
كـلا يـا أطـفـالَ بـلادي
أنـتـمْ أبـنـاءُ الـثـورةِ
والـثـورةُ آلـهـةٌ
تَـخْـلِـقُ بـاليُـسْـرى الـثـوارَ
وتـقـبـضُ بـاليُـمـنـى
أرواحَ الـرجـعـيـاتْ

على أطلال المدينة

والدمعةُ الخضراءُ تلهُث تحتَ نظرتِها الخجولَةْ
والغضبةُ الخرساءُ تَغلي في جوانِحِها الهزيلة
بصقت على التاريخ كيفَ يجرُّ في صَلَفٍ ذُيولَه
عَذراءُ تقرؤُ في كتابِ الليلِ مهزلةَ الرجولة
قُدساهُ يا وحياً بصدرِ الكونِ يا ثديَ الفضيلة
ما زالت الأمجادُ أشباحاً معطَّرةً ذليلة
تقتاتُ أفيونَ التراثِ وتحتَسي خمرَ البطولة
وتصيدُ من جوفِ الجماجم زادَ رحلتِها الطويلة
فلتحرقي التاريخَ ولتنعَيْ إلى الدنيا فصولَه
ولتقذفي أفكارَهُ من فوق رأسِ «النارجيلة»
هيهاتَ ينتفضُ الزمانُ وفي عقاربِه حمولة
قدساهُ يا أختَ المآسي يا معفَّرةَ الجديلة
قد يستحيلُ الشهدُ دمْعاً فوق وجنتِكِ الأسيلة
وتسيلُ نبراتُ الأذانِ على مآذنِكِ النحيلة
وتمرُّ عبرَ أصيلِكِ الانسامُ عابسةً ثقيلة
وتحومُ أرواحُ القَرَنْفُلِ حَولَ انقاضِ الخميلة

وتطيرُ أسرابُ السُّنونو عن عشائِشها الظَّليلة
وتفرُّ نبضاتُ البراءةِ من شرايينِ الطفولة
قَد يقتلُ الليلُ الهلالَ وقد يُواريهِ سُدوله
لكنَّ نورَ الشمسِ يأبى أن يموتَ الفجرُ غِيلة

أحبُّكِ.. ولو كان اتهاماً

كتبتُ على شِفاهكِ
في سكونِ الليل أغنيتي
وقلتُ لعلَّ روحَ الشعرِ
تسكنُ روحَ ملهمتي

ولكنْ صمتُك المجنون إصراراً
أثار الشكَّ في نفسي وفي ثقتي

كأني ما سمعتُ
وأنتِ تعترفين لي بالحب
أم اني
قطعتُ جذورَ ذاكرتي

كأنِّي ما رأيتُكِ
حين تنهيداتك الحرَّى
تجيبُ ولا تجيبُ

على شظايا النارِ
في آهاتِ أسئلتي

تكادُ تفرُّ من عينيكِ أيامي
فكيفَ أقولُ
إن حبيبتي -يا ناس- قاتلتي

أجيبي
إنَّ هذا الصمتَ يسحقني
ويحرقُ كلَّ أرغفتي

أجيبي
لم يعدْ قلبي يصدِّقُ
ما تهمُّ بقوله شفتي

يكادُ الشكُّ يقتلني
وتهربُ
من سؤالِ القلبِ أجوبتي

عجيبٌ أمرُها هذي المقاديرُ
التي ساقتْ
إليَّ هوى معذِّبتي

وكـنـتُ أظـنُّ أنـي سـوف أكـتـبُ فـيـكِ
قـرآنـاً
فـهـل يـبـدو بـأنـي سـوفَ أكـتـبُ فـيـكِ مـلـحـمـتـي

أأصـبـحـتِ الـسـكـوتَ
وأصـبـحـتُ الجـنـونَ أنـا؟!
مـتـى يـا حـلـوةَ الـعـيـنـين
ألـقـي فـي بـحـارِ الـشـوقِ مـرسـاتـي
وأطـوي عـن ريـاحِ الـوجـدِ أشـرعـتـي

وحـقّـكِ والـهـوى.. والـقـدسِ
إنـي مـا نـسـيـتُـكِ
إنمـا أنـتِ الـغـديـرُ
الـبـاعـثُ الإلـهـامَ
فـي صـحـراءِ أوردتـي
أطـيـرُ إلـيـكِ
يـا أحـلـى جـنـايـاتـي
ولـو كـسَّـرتُ فـي الـطـيـرانِ أجـنـحـتـي

أنـا أحـبـبـتُ كـلَّ نـسـاءِ
هـذي الأرضِ
إلا أنـنـي لمـا لـقـيـتُـكِ
قـد نـسـيـتُ جـمـيـعَ تجـربـتـي

تخيَّلتُ الهوى قدراً رهيباً
ثم كنتُ اليومَ في قدري
فما أغبى مخيلتي

أحبُّكِ
إن يكن هذا جنوناً
فإن العقلَ شيءٌ
خارجٌ عن كنه فلسفتي

احبُّكِ
إن يكن هذا اتهاماً
إذن
فليعقدِ التاريخُ محكمتي

نطق الأمير.. فهل سينطق مدفعه؟

زار الملكُ السعودي القدسَ قبل النكبة بعدة أعوام، وصلَّى في المسجد الأقصى، فكتب له الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود قصيدة اشتهر منها هذا لبيت:

المسجد الأقصى أجئتَ تزوره
أم جئتَ من قبل الضياع تودِّعُهْ

وائتناساً بقصيدة الشاعر الشهيد كتبتُ هذه القصيدة على وزنها وقافيتها بعد تصريح الأمير فهد العتيد بإعلان الجهاد ضد إسرائيل.

خُلِقَ الكلامُ فخيرُه بَلْ أروعُهْ
ما كانَ بالأفعالِ يصدقُ أجمعُهْ
عبدَ العزيز حفيدُك استمعَ الورى
لبيانِهِ، فبأيِّ «خُرْجٍ» نجمعُهُ
وتساءلَ المسحوقُ في قدس الطوى
نطقَ الأميرُ فهلْ سينطقُ مدفعُه
وحشُ الصهاينة أرتوتْ أنيابُهُ
وتداعستْ شرفَ العُروبةِ أربعُه

أرضـاً مقـدَّسـةً يجـوسُ خلالَـها
فيـهـا مطامعُـهُ وفيهـا مَرْتَعُـهْ
بيغيـنُ ينخـرُ في متـونِ هضابِها
وتـوغَّلـتْ في القلبِ منها إِصبعه
يا فهدُ لم يُتْـرك لنا مـن رحبِـها
إلا فـنـاءٌ نـفـتـديهِ ونـمنعه
علـمُ العـروبةِ لـو ترى أرجوحةٌ
أيـدٍ تـثـبِّتُـه وأيـدٍ تـنـزعه
يا فهدُ في جسـد العروبـة خَرْقـهُ
فبـأيِّ تصـريحٍ تُخيـطُ وترقعُه
شعبٌ تشرَّد حيثما شـاء «الهدى»
والعالـمُ الباكـي عليـه يُشيِّعـه
يا فهـدُ لا خُطَـبُ الكفـاحِ تعيـدُهُ
كـلا ولا دعـوى الجهاد سترجعُه
يا فهـدُ دعْ عنـكَ الكـلامَ وهـذرَهُ
واستـشـهـدِ التاريـخَ فيما تُزمعه
لمنِ الوعـودُ كبيـرُها وصغيرُهـا
وعـدٌ نعـايِـنُـهُ ووعـدٌ نسـمـعه
والمسجدُ الأقصـى عليه من الجوى
حلـلٌ، ومن حزنِ الهزيمةِ أبشعه
بـكـتِ المـآذن حـولَـهُ فـكأنَّه
وكأنَّها قـوسُ النحيـبِ ومنزعُه

قـد كـانـتِ النيـران تهدمُ صـرحَـهُ
وسـواعـدُ الشبـانِ منـا تـرفعه
نحـنُ الفـداءُ، لهيبُـه ونشـيـدُه
فـي كـلِّ آفـاقِ الوجودِ نرجِّعه
نحنُ الحمـاةُ له، ونحنُ رعـاتُـه
كالطفلِ، من دمِّ الشهيـدِ نرضِّعه
يأبـى النضـالُ سكوتَنا وخضوعَنا
وسكوتُكم يقضي عليه ويُخضِعه
ماذا تـروْنَ، وقد أظـلَّ عيونَـكم
ذلُّ الغشـاوةِ، والمعـاولُ تصدعه
ماذا فعلـتَ لـه وقـد عُقد اللوا
إلاَّ الكـلامَ تصـوغُـهُ أو تُـبدعه
ماذا يفيـدُ المـالُ حيـنَ تصبُّـهُ
مجرى اليمينِ وفي المياسـرِ تمنعه
يا تاجر البتـرولِ نفطُـكَ ناضبٌ
إن لـم يكـن للحـقِّ يدفـُقُ منبعـه
أدعوتنا للديـنِ وهـو مـوجَّـهٌ
شَـطْـرَ الشيوخِ على المنابر تَصْفعه
يـا فـهْدُ طولُ الاحتـلالِ أذلنا
فبـأيِّ صـالحـةِ النـوافـل تَدفعه
لمن القمـارُ على الرفيـرا كأسُـها
يجـري على الأُمـراءِ فيها مُتـْرعه

لا يصنـع التاريـخَ إلاَّ هولُـه
مـا كـان يُجـدي رغْدُهُ أو مُمْتِعُهْ

والرأيُ ما كانـتْ تقومُ أمـورُهُ
إلا إذا ألـوى عـليـهِ سَمَيْـذَعُـه

ولغَ الكلابُ من الإناء فلم نَجِـدْ
أحـداً يطهِّـرُهُ ولا مـن يُسبـِعـه

إنَّـا لنفْقِـدُ فيكُـمُ الأمـلَ الذي
كـنَّـا نُـؤَمِّـلـهُ، فمـن ذا يصنعُه

عندما ينتصر الجنون

سكرَ الزمانُ
وقد تمومستِ القرونْ
وترنَّخَ التاريخُ
عبرَ أزقةِ الشرقِ الحزينْ
وإذا سكرتُ
تعهَّرت في القدسِ
أجهزةُ المجونْ
فمتى سينتصرُ الجنونْ؟!

يا بائع الأيام
بِعني ساعةً
كيما أمارسَ في دقائقها الحنين
الخبز أكبر
ليس ربُّك
يا سجينْ
يقتاتُهُ جوعٌ.. وحرمانٌ.. واحلامٌ

بُنيَتْ على أنقاضِها
زنزانةُ القدرِ اللعينْ
فمتى سينتصرُ الجنونْ؟

صحراؤُكُمْ باتتْ رصيداً من زيوتْ
والجائعونْ
أكلوا متاريسَ البيوتْ
يتلمَّظون الموتَ
ليسَ شفاهَهُم يتلمَّظون
أُكِلَتْ قديماً
لا تعجبوا
إن لم تروهمْ يبسِمونْ
آبارُكُمْ جثثٌ محنَّطةٌ
لها جفنٌ
وليسَ لها عيونْ
فمتى سينتصرُ الجنونْ؟

لا بأسَ يا أختاهْ
نامي على صدري
وتيهي.. عربدي
وتألمي.. وتعذَّبي
هذا عزاءُ الثائرينْ
فأنا.. وأنتِ.. ونفطُهم

وعيون ذيَّاك السجينْ
تتكوَّر الرغبات في أحشائنا
وإذا المخاضُ بلا جنين
فمتى سينتصرُ الجنون

تغتالنا الأيامُ
لكنا نعيشُ على شفاهِ الياسمين
لا تسأليني
قبِّلي ما شئتِ خدَّ الشاعرينْ
والعابرينَ
على طريق الحبِّ والآلام
رغم الغام الظنونْ
وإذا وَهِنتُ
فساعدينْ
لأصبَّ في أُذُنِ الزلازلِ
صرختي
أيَّانَ؟
كيفَ؟
متى؟
سينتصرُ الجنونْ؟

الوردة والعصفور

عندما
يسقطُ العصفورُ مقهوراً
على حفنةِ قمحٍ
أو غديرْ
يصبحُ الصَّيادُ فاشياً
ينتفُ الريشَ وينسى
إن في العشِّ فِراخاً
تتحدَّى الزمهريرْ

آه.. يا تغريدَكَ المبحوحَ بالصمتِ
وبالصمتِ الغزيرْ
نامت الوردةُ في عينيكَ
وفي أوتاركَ الرعشاءِ
قد نامَ الخَريرْ
لا تبالِ
فإذا قيل انتهى العمرُ صغيراً
أصبحَ الموتُ كبيرْ

من التي

من التي تقولُ: يا حبيبي
كأنَّها تقولها لنفسِها
فأرتوي
لا اطلبُ المزيدْ؟
من التي
تقولُ: يا حبيبي
وعندما تقولُها
تسكُنُني
كأنَّها لقلبيَ الشريانُ والوريدْ؟
***
من التي
تقولُ: يا حبيبي
وعندما أحضِنُها
يسيلُ في جوانحي
النبيذُ.. تنبتُ الورودْ؟
***

من التي
تعيشُ في عواطفي
كأنَّها انفعال
تسبحُ في حقيقتي
كأنها الخيال
تمتدُّ في مَجاهلي
كأنَّها سؤالْ؟

***

من التي
تنامُ بين أحرفِ التوقيعِ في هويتي
مصبوغةَ الشعرْ
يجذبُني المدارُ حولَ وجهِها
كأنني القَمَرْ

***

من التي
يفوحُ من عيونِها البريقْ
فتجعلُ السُّمَّارَ يشربونَ
خمرةَ الصَّبوحِ
من زجاجةِ الغَبوقْ

***

من التي
في صوتِها تدحرجَ المحارُ
فأستوى الغَوَّاصُ يستغيثُ

ليتني الغريقْ

***

من التي

يسجدُ كلُّ عاشقٍ لحُسْنِها

يموتُ في معبَدِها

لكنهُ يقولُ يا حبيبتي:..

ما زلتُ في بدايةِ الطريقْ!؟

إليها.. في حدادها على الحياة

عاتبتُ عقلي واتهمتُ فؤادي
وجفَوْتُ حزمي واعتزلتُ عنادي
وسبرتُ أغواري بِعَيْنَيْ حائرٍ
فرأيتُ أبعاداً بلا أبعادِ
إني أمرؤٌ ملكَ القريضُ زمامَه
فمضيْتُ من وادٍ أهيمُ لوادِ
مارست حقي في الحياة وعشتها
لم أُسْتَشَرْ في ساعةِ الميلادِ
لما رأيتُ الدهرَ غالبَ أمرِهِ
أسلمتُ للقدرِ العجيبِ قيادي
أختاهُ يا نغماً حزيناً شارداً
يمضي، ولم تعزفهُ آلةُ شادِ
أختاهُ يا نجماً يتيماً ينزوي
ويشعُّ، لكنْ في إطارِ سوادِ
أختاهُ يا روضاً نما بقطوفِهِ
غصن، فلم تدركْهُ راحةُ غادِ

يا وردةً عبثَ النسيمُ بجيدِها
فترنَّحتْ فوقَ الأديمِ النادي
ما دامَ بالأفراحِ تُدرَكُ لذةٌ
فعَلامَ ذيَّاك الجنونُ السادي
أختاهُ فلتدعي الحياةَ لطبعها
إن الحياةَ غريبةُ الأضدادِ
إن الذكاءَ إذا استقامَ فضيلةٌ
والحبُّ والإيمانُ أفضلُ زادِ
والمبدأُ السامي شعاعٌ مشرقٌ
للنفسِ يهديها ونعمَ الهادي

عيناك

عيناكِ
مثلُ بحيرتَينْ على بساطِ الثلجِ
والنظراتُ موجاتُ البريقْ
قلبي على شطَّيْهما يلهو
وقلبي في عُبابِهما غريقْ
عسليةَ العينينِ
عبرَ ضبابِكِ الغجريِّ
اكتشفُ الطريقْ

فتمرَّدي
ما أروعَ البركانَ
في نهديْكِ
حينَ يثورُ ثورتَه الجنونيَّةْ
ويصبُّ في الأُفُقيْنِ منكِ
حرارةً وعذوبةً
وعواصفاً

وعـواطـفـاً
ولحـونَ آهـاتٍ حـريـريـةْ
مـجـنـونـةَ الـنـهـديـنْ
إن شـبـابَـكِ الـذبـلانَ
عـطـشـانٌ لأمـطـاري الخـرافـيَّـةْ
وتمـنـَّـعـي
لا بُـدَّ لـلـشـمـسِ الحـزيـنـةِ
فـي دمـائِـكِ
أن تـعـودَ إلـى الـتـوهُّـجِ مـن جـديـدْ
لا بُـدَّ
أن تـنـمـو عـلـى شـطـآنِـكِ الـدفـلـى
ويـنـصـهـرُ الجـلـيـدْ
يـا عـذبـةَ الـشـفـتـيـنِ
يـوم أراك تـبـتـسـمـيـنَ
أقـسَـمُ أن هـذا الـيـومَ عـيـدْ!

مغرورة

لا تخدعيني فالخداعُ تملُّقُ
والصدقُ أولى بالشريفِ وأليقُ
أنا سيّدٌ بخلائقي ومشاعري
إن كنتِ سيدةَ الجمالِ سأسبقُ
أنا ما تجاوزتُ الفضيلةَ إنْ أقلْ:
إنّي بسيطٌ، فالبساطةُ منطِقُ
هل تحسبينَ الكبرياءَ رجولةً؟
إن التواضعَ في الكريمِ تفوُّقُ
ليس الجمالُ مناظراً ومظاهراً
إن الجمالَ تفهُّمٌ وتذوُّقُ
أنا لستُ يُضعفني الزمانُ وإنما
للنجمِ في الليلِ البهيمِ تألُّقُ
هَلْ من كمالٍ لم تَشُبْهُ شوائبٌ
أو من وئامٍ لم يَنلْهُ تفرُّقُ

إنـي إذا أشـتـدَّ الزمـانُ بظلمـةٍ
نـصّبتُ من صبري شـمـوسـاً تـشـرقُ
ذات الـترفُّـعِ إن عـقـلَكِ واهـمٌ
والـوهـمُ طيـفٌ بالـغبـاءِ معلَّـقُ
فلتـفـهـمي إن كـنـت لسـتِ غـبيـة
إنـي لأولـع بالـذكـاء وأعـشـقُ
أنـا من فلسـطين دمـي وحـفـيـظـتـي
وهُـويـتـي وعـقـيـدتـي والـبَـيْـرَقُ

أمل

ودَّع الأحبابُ أيامَ الهنا
وأبى الدهرُ عليهم موطِنا
ضاقَ بي ليلي كأنِّي تحتَهُ
ومضةٌ سامتْه نوراً فَعَنا
أيها الليل تجهَّمْ ظلمةً
واسْتَطِلْ واقتلْ بعيني الوسَنا
وأضفْ للسهدِ سهداً قاسياً
وانتقمْ بدراً وعذِّبْ موهناً
لا أُبالي إيها الليلُ فما
كلَّتِ الروحُ ولا العَزمُ وَنى
سوفَ تمضي كالحَ الوجهِ إذا
ما اطلَّ النورُ يَحدوهُ السَّنا
فأتلُ للتاريخِ ما قدَّمْتَهُ
إن للتاريخِ فينا أُذُنا
لم أعدْ أملكُ شيئاً قيِّماً
غيرَ نفسٍ حرَّةٍ تأبى الخنا

أيها الظمآنُ في الدربِ استمرّ
عـلَّ ينبـوعاً وراء المنحـنى

حين يرتفع صوت العهر

رويدكَ تاجرَ الشَّهواتِ
لا تعتزَّ.. لا تفخرْ
ولا تغترَّ بالإقبالِ
بالأرباحِ.. بالأرقامِ.. لا تغترْ
فهذا السوقُ مفتوح
لكلِّ بضاعةٍ متجرْ

***

أتحسبُ أيها المغرورُ
أن العقلَ لم يزرعْ ولم يحصدْ
وأن الروحَ لم تذهبْ إلى البيدر
وأن القلبَ لم يُخصبْ
وان الحبَّ لم يمطرْ
إذنْ أخطأتَ يا جاهلْ
فلا تثريبَ أن تجهر
بأنك كاسحُ الأخلاقْ
وانك سيدُ البندرْ

ولا تثريبَ أن تُصغي
لهاتفِ نفسِكَ الجوفاءِ
وتصدعَ بالذي تُؤمرْ

***

تجَرَّعْ من كؤوسِ الغيدِ
ما يُغري وما يُسكرْ
ولحِّنْ آهةَ النشوانْ
على أوتارِ خدَّيْها
ودغدغْ قطعةَ السكُّرْ

***

وقَلِّبْ صفحةَ البيضاءِ فالشقراءْ
فمنْ في خَدِّها عنبرْ
فذاتِ الردفِ.. فالرعناءْ
ذاتِ الشبشبِ الأخضر!
وأعلنْ تحتَ ركبتها
بأنك عبدُهَا الأصغرْ
فإنك عندَ شبشبها
حقيرٌ لم يَجِدْ أحقرْ

***

لتقرأْ يا عريفِ الحفلة الحمراءْ
كتابَ الشهوةِ الأصفرْ
لتنشر يا عقيمَ الحسِ في الأثداءْ
قلوعَ الكبتِ.. ولتبحرْ

لتشرحَ يا خطيب الجنسِ
كيف يُضاجع المنبرْ
فسوف تظلُّ رغمَ المالِ والأنصارْ
ورغمَ تساقطِ الأبرارْ
ورغمَ تفوّق البربرْ
بعيراً هائجاً أجربْ
بعيراً خاوي الأحشاءْ
حداهُ الجوعُ أن يجترْ
ويمضغَ فلسفاتِ العُهرْ

تعذَّبْ أيها الأرعنْ
فماء الخُلْقِ
إن لم يجرِ .. لا يأسنْ
وغصنُ الخُلْقِ
يا منبوذُ
لا يذوي ولا يُكسرْ

إليها.. في زمن القحط

يا فتاتي
ترفضُ الأيامُ
إلاَّ أنْ يضيعَ العُمْرُ هدْرا
نكرهُ السحرَ
ولكنْ كلُّ شيءٍ صارَ مجنوناً
ومقلوباً.. وسحرا

يا فتاتي
ما الذي يجعلُ المحرابَ باباً
يقهر الناسكُ -فيه- اللهَ قهرا
ما الذي
يجعلُ الحبَّ نفاقا
ما الذي يغرسُ دوماً في ثرى الاخلاصِ غدرا
ما الذي يحرقُ في البستانِ وردا
كلُّ شيء وادعٌ ما بينَ جنبيْهِ
يناغي البلبلُ المعشاقُ زهرا

ما الذي
يجعلُ التاريخَ يبكي
ثم يطوي صفحة الأمجادِ
لا يكتبُ سطرا
ما الذي
يجعلُ العيشَ كؤوساً
يشربُ المقهور منها
ويكون الحزنُ خمرا
ما الذي يطفئُ في النجمِ بريقاً
كان يسري في عيونِ الليلِ
أنواراً وعطرا
ما الذي يجعلُ من كريم النفسِ
عبداً
لحقيرٍ من لئام الناسِ
يحكمُ القصرُ وينسى
إن للحكامِ قبرا
ما الذي
يجعلُ القدسَ على
هذه الأرضِ سراباً
والبلادَ الفاقداتِ الروحَ نهرا
ما الذي يجعلُ ظلماً جبهةَ الطفلِ
رغيفاً
كانَ أحرى

أن يكـونَ الـوجـهُ بـدرا

يا فـتـاتـي
يـوشـكُ الـشـاعـرُ حـيـنـاً
أن يـصـوغَ الـكـونَ شـعـرا
يـوشـكُ الـشـاعـرُ أن يـعـزفَ الأحـلامَ
حـتـى تـرقـصَ الأحـلامُ
فـي عـيـنـيْـهِ سـكـرى
ثـم يـمـسـكُ
لـيـس كـلُّ الـنـاسِ تـدركُ
أن لـلـشـاعـرِ عـذرا

يا فـتـاتـي
أتـمـنـى لـو وضـعـتُ الـعـالـمَ
المـشـحـونَ بـالـعـدوانِ
فـي كـفـيْـكِ ياقـوتـاً ودرًّا
إنـمـا
سُـنَّـةُ الـصـبـحِ
فـلا يـولـدُ
حـتـى تـحـبـلَ الـشـمـسُ
قـبـيـل الـصـبـح.. فـجْـرا

يا فـتـاتـي

كـفـكـفـي الـدمعَ
وكـونـي ثـورةً
وأذكـري
انـه لا يـقـطـفُ الآمـالَ
إلاَّ مـن يـطـيـقُ الـيـومَ صـبـرا

ملحمة قصيرة

عادةُ الدهـرِ أن يجيءَ بنحْسي
أيـنَ مجـدي وأيـنَ تالدُ أمسي
قيلَ أصلي من أصل كل عظيمٍ
قد أتانا بالمعجزاتِ، وجنسي
حدَّثَ التاريخُ المبجَّلُ عنها
وحديثُ التاريخِ ليسَ بهلْسِ
إنَّ في الماضي والقديمِ لدرساً
ليسَ ينسى رغم استطالة جَلْسِ
ما وجدتُ العصورَ إلا بحاراً
تمخرُ الحادثاتُ فيها وترسي
أيُّ ذِكْرٍ وإن تَطَاول يوماً
فهو في غَمْرةِ الحَوادثِ منسي
كلُّ يومٍ ينمُّ عند شروقٍ
عن جديدٍ، وينطوي حين يُمسي
وعظ الشاعريْنِ أيوانُ كسرى
وقصورٌ على ثرى أندلسي

عــن تليدِ الحمراءِ حدَّثَ شوقي
وروى البحتــريُّ أمجــادَ فــرْسِ
لم يعِــظ فحْلَيِ القريض حديثٌ
وكأنْ ليــسَ في الحديــثِ تأسِّــي
وأرانــي بواقعــي لي اعتبارٌ
وبيــومي لا بالغــوابــرِ درْســي
وطني كنتَ مهبطَ الوحي يوماً
مَــا لكَ اليــومَ صِرتَ بــؤرةَ رجسِ
ولكــمْ تكتــمُ النفــوسُ أموراً
لا يبــيــنُ اللســانُ عنهــا بِنَبْــسِ

* * * * *

ما لصدري كأنَّ صَدري ليلــى
وكــأنَّ الهمــومَ وجــدانُ قــيْــسِ
لازمتني لدى النهــار كــظلِّي
وتقافَــزْنَ في الدُّجــى من رأســي
خانني من سَقيتُهُ كــأسَ ودي
وتنــاســى الحبيــبُ أيَّــامَ أُنــســي
لا أبالي والحــبُّ شيمــةَ قلبي
أقبــلَ الحــظُّ أمْ تتــابعَ بــُؤســي
فإذا نالــتِ الخطــوبُ كــلالاً
من سلاحي، فــما تكسَّــرَ ترْســي

شريط على الهدية

أهدت شاعرة فلسطينية من طبقة غير ذات كدح إلى شاعر فلسطيني قصيدة، تسخر فيها من العمال الذين يعملون لدى المؤسسات الإسرائيلية، كما أن الشاعرة، في قصيدة أخرى، كانت تتمنى أن تأتي ريح من الشرق تحمل مليون رجل فيتنامي لتهديهم مليون امرأة عربية يضاجعونهن ليلدن رجالاً، كأن الأصلاب العربية أصبحت عاجزة عن إنجاب الرجال، فوقية وانهزامية كان موقف الشاعرة، ولعلها تراجعت عن موقفها هذا بعد حرب رمضان، ولكن القصيدة كانت شريطاً على الهديتين، نشرت في جريدة «البشير» في حينها ولذلك أثبتها.

لماذا أراكَ صموتاً حزينْ
وها نحنُ -فعلاً- نثرثرْ
وها نحنُ نرعى قطيعَ النعاجِ
نصوغُ القصائدَ من برج عاجِ
ونكتب للناسِ شعرا أحاجي
وديوانَ «جفْتْ»
وقافيةً من «صَبُون» وزيتْ
ونشتمُ عمانَ آخر بيْتْ
ففي القصرِ يقبعُ عمٌّ لنا
يحلِّلُ للقومِ ألغازنا

ويودعُ في البنْك أموالنا
فطبْطبْ وباركْ على الباصمينْ

شبعتمْ فلا غرْوَ أن تسخروا
بأهلِ الرصيفْ
فمالُ الصمودِ
يشلُّ الزنودْ
ويُبهتُ في العينِ لونَ الرغيفْ
شبعتُمْ وتشبَعُ مَعْكمْ كلابْ
شواءً وحلوى
وفي الناسِ طفلٌ يلوكُ النحيبْ
ويمتصُّ من خنصريْهِ الحليبْ
أيرضعُ هذا
دخانَ المصابنْ
وبخرَ الزيوتْ
ليُتخمَ كلبٌ وطفلٌ يموتْ
ويُلقى ملامٌ على الكادحينْ؟

أأمْجادُ «عيبالَ» خبزٌ وماءْ
وتاريخُ «جرزيم» ملحٌ وسكَّرْ
ليهمزَ كادحْ
عريقُ الوفاءِ
بريءُ الملامحْ

يجوعُ فيبْكِرْ
ويسكبُ دمْعَهْ
ليُشعلَ بين العواصفِ شمعَةْ
ويُلقى ملامٌ على الكادحينْ؟

رجالٌ قِيَاتْ نامْ لديهم نساءْ
يعينَ القضيَّةْ
يُضمدْنَ فيها جُروحَ الرجاءْ
يعشنَ انتماء يمتن انتماءْ
ويُرضعنَ أطفالَهنَّ انتماءْ
ولا يرتدينَ ثياباً حريرْ
ولا يغتسلنَ بماءِ العطورْ
ليسقطَ ثائرْ
ويَهتِكَ عِرْضَ القصائدِ شاعرْ

إلى روح شاعر فلسطين إبراهيم طوقان

لِمَنِ اللواءُ وفيمَ هذا الفيلقُ
وعلامَ تحتشدُ الجموعُ وتُحْدِقُ
قالوا هُمُ الشعراءُ جاء نديُّهم
ليضمَّ صاحبَهُ المكانُ الأليقُ
ساءلتُ في عجبٍ وأين زعيمُهم
قالوا قضى، فصرختُ بئسَ المنطقُ
أكنارُ نابلسٍ يموتُ وهذهِ
صفحاتُه روحٌ وقلبٌ يخفقُ
ويغيبُ بلبلُها لتبقى بعدَهُ
غربانُ شعرٍ بالتوافهِ تنعقُ
لا والَّذي جعلَ المنيةَ سُنَّةً
تجري على جيدِ العبادِ وتُطبِقُ
ما ماتَ ابراهيمُ بَلْ هو طائرٌ
في جنَّةِ الفردوس حيٌّ يُرْزَقُ

ولتسْألوا رضوانَ عن خطراته
ومن الملائكِ مَنْ يفوهُ وينطقُ
أفلا يزالُ الفذُّ يصدحُ مُنْشِداً
ويعُلُّ من خمْرِ الرحيقِ ويلعقُ
يختالُ بينَ نمارقٍ وأرائكٍ
ترنو لَهُ حُورٌ وحورٌ ترمقُ
والكوثرُ الرقْراقُ تحتَ قُطوفهِ
نشوانُ تلمسُهُ القطوفُ فيفهَقُ
ويهزُّ عرشَ اللّٰه كلَّ عشيةٍ
والمصطفى مُصْغٍ وعيسى مُطْرقُ
ومنازلُ الشهداء خفَّ نزيلُها
طرباً وولدانُ الخلودِ تصفّقُ
وملائكُ الرحمنِ حولَ مليكُهمْ
طاروا بأجنحةِ الحماسِ وحلقوا
يرجونَهُ بذوي المغرّدِ رأفةً
واللهُ أحرى بالإجابةِ أخلقُ
الشعرُ أنتَ شبابُهُ وجمالُهُ
والحبُّ أنتَ معينُهُ المتدفّقُ
أبدعتَ في صوغِ القريض كأنَّهُ
نجلٌ تهذّبهُ ذكيٌّ شيقُ
فكأنَّ مخلوقَ المعاني «جعفرٌ»
و«عُرَيْبُ» قالبُه البديعُ المشرقُ

وكـأنَّ ألفـاظَ الغنـاءِ خـلالـهُ
«سيـنُ الغريـرة» بالعذوبـةِ تنطقُ
ونظمـتَ نابُلُسـاً فكـانَ جلالُها
بيـتـاً لَـهُ بـيـنَ المطـالعِ رونـقُ
«جـرزيمُ» في صدرٍ أبيٍّ شامـخٌ
«عيبـال» في عَـجُـزٍ أشـمَّ أبـلقُ

***

مـا كنتَ في الشعراء إلا سيِّـداً
لِـمَ لا يسـود الـصـانعُ المتـأنِّـقُ
في غَمرةِ الأحداث ذكراكَ أنطوَتْ
لـكـنَّ روحَـكَ لـم تـزلْ تَتَطـرَّقُ
وإذا نُـسيـتَ فـإنَّ شعبَكَ هائِمٌ
بهمـومِـهِ مُسْتَنْزَفٌ مُسْتَغْرَقُ
صدقـتْ نبوءَتُكَ الـتي أعلنتَها
فحقـوقُـنا لا تستـوي أو تُحْـقَـقُ
نَـمْ في ثـراكَ، لعلَّ يوماً آتيـاً
تُجـلى به الظـلـمـاءُ بَـلْ تـتـألَّـقُ
وعليكَ مِـنْ ذكـراكَ فينا رحمةٌ
وعليـكَ مِنْ رحمـاتِ ربِّـك غيـدقُ

موال في عشية عَرارية

أ قسمتُ باللّهِ والناسوتِ والجانِ
ألا سكرتُ بخمَّاراتِ عَمَّانِ
حمراءَ تسحقُني شُرْباً وأسحقُها
كأنَّنا في مجال الحربِ ندَّانِ
بكلِّ كأسٍ حواشيها منوَّرةٌ
تُغري بتقبيلِها شيخاً بقُفطانِ
مليكةُ الشعرِ في كأسٍ متوجةٌ
دُرَّ الحُبابِ على عرشٍ حزيراني
تكادُ من شغف الصادي بنشوتها
تقولُ مختالةً في الخلقِ: سُبحاني
أُمُّ الكبائر صُغرى في زجاجتِها
لكنَّها في سماءِ الرأسِ نجمانِ
نجمٌ يضيءُ لمسرورٍ مسالِكَهُ
ومطفأٌ لأخي أحزانِهِ الثاني
نهفو إليها ونشكو من عواقبِها
كالنارِ دفئاً وحرقاً فهْيَ ضدانِ

الحــزنُ عــاشقُــها والــيــأسُ واردُهــا
فــيا لغــيــداءَ يهــواها حبيــبــانِ
عقــلي أسيــرٌ لهــا إبّـانَ سطوتِها
فإنْ صحــوتُ غدا المأسورُ وجــداني
أيــهٍ عــرارَ القــوافي وهي غــارقــةٌ
بالجمرِ والخمرِ في قصرٍ وفي حــانِ
جعلتَها لسَــراةِ النــاسِ حنــظلــةً
وللصعــاليكِ رَوْضــاً قَــطْفُــهُ دانِ
فوقَ الحــروفِ نقاطٌ غــيــرُ باهتــةٍ
وتحتَــها لمعــاني الرفــضِ خطّــانِ
أتــيــتُ حــانَــك والأقــدارُ غــالــبــةٌ
أن لا أكــونَ وأنتَ الشــاربُ الهاني
وجئــتُ لا شلّــةُ النــدمــانِ تعرفني
ولا التحايا ببــابِ الكــوخِ تــلــقاني
فقدْتُ في رحلــةِ الاحــزانِ راحــلتي
وفي مجاهــلِها ضيّــعتُ عنــوانــي
حفظتُ من وَرَمِ التُّجــارِ محفظتي
وللمســاكينِ قــدْ وسّعــتُ دكّــاني
وفيتُ والقدسُ لا تَنــســى بلابلَــها
وليسَ كــلٌّ وفــيٌّ العهــدِ حوراني
وقفتُ بالكوخِ والخيّامُ يهتــفُ بي
ليتَ الذي فلســفَ الصهبــاءَ ساساني

ورحتُ أنثرُ في الديوانِ ذاكرتي
بين «العشياتِ» نيروزي وريحاني
فغامزتني صبايا الشعرِ ضاحكةً :
«نوريَّةَ» الكدحِ أم خمريةَ البانِ؟
فقلتُ: إني عشيق كلِّ ذات يدٍ
بيضاءَ من رفعةِ التهذيبِ والشانِ
أيهٍ عرار القوافي وهي نافرةٌ
كالخيلِ في الحربِ تجري كلَّ ميدانِ
سخرتَ حتى جعلتَ الارض مائدةً
بالشيخِ «عبودِ» في دهليزِ رغْدانِ
سبَّحْتَ للفقرِ والدنيا مُسَبِّحةٌ
لصاحبِ العرشِ في قاصٍ وفي دانِ
إخوانُ سلمى وإن كانوا على ضَعَةٍ
فإنَّهم وكبارَ القومِ سيَّانِ
بَيْعُ العروضِ لهم في الناسِ منقصةٌ
فكيفَ يا صاحبي من باعَ أوطاني
آمنتُ بالخمرِ وهي الآن مُلهمتي
بينَ الجماجمِ في أسواق عمَّانِ
وقد تنبأتَ أن القدسَ لو ذهبَتْ
فكَمْ سيبقى بها سُنِّي ونصراني
والشاعرُ الفذُّ من كانت قريحَتُهُ
تُوحي بما هوَ آتٍ قبلَ أزمانِ

القــدسُ يــا شـاعــري غيداءُ باكـيـةٌ
مجــدَ العــروبةِ عبــاسـي ومرواني
فــلا مــآذنُــها فيــنا بصــادحــةٍ
ولــيسَ نــاقوسُــها فيهــم برنَّــانِ
صلَّى إليها أبــو الزهــراءِ مبتهلاً
والــيومَ يبــكي عليها كلُّ عدنــاني
تكــادُ مــن ألمٍ تهــوي بصخرتها
وليسَ يحنــو على آلامِــها حــانِ

***

أيــهِ عــرارَ القــوافي لم يعُدْ رمقٌ
بي للقــوافي وإنْ كانــتْ تــرَجَّاني
فإنني متعــبٌ والقــدسُ تقــبَلُــني
إذا صحــوتُ فإن أسكــرتُ تأبــاني
خُــذْ باقــةَ الــوردِ مني وهي يانعةٌ
وإن تَــكُن جُــرِّحَتْ بالشــوكِ كفّانِ

في رحم الليالي

كأنِّي حينَ ضاجعْتُ الليالي
قذفتُ على مشافرِها سُبابا
حملنَ ففي حشاياهُنَّ مني
جنينُ الغيظِ يضطربُ اضطرابا
جعلنَ الانتقام لهُنَّ شغلا
إذا خيَّمنَ أشْهَرْنَ الحِرابا
تصوّبها فيجمعُها شغافي
ويجعلُ في الفؤادِ لها جرابا
لأني لم أُطِعْ للدهرِ أمراً
ولَمْ أَحْسِبْ لعاقبةٍ حسابا
ولم أطلبْ من الأفّاكِ عوناً
ولم أطْرُقْ على المغرورِ بابا
إذا ألقيتُ في بحرِ شباكي
تَلِفْنَ كأنَّ للأسماكِ نابا
سخوْتُ بكل شيءٍ غيرَ أني
حفظْتُ كرامتي من أنْ تُعابا

شربتُ من العواطف كلَّ كأسٍ
فكان الحبُّ أعذبَها شرابا
كأنّي لا فؤادي ذابَ حباً
ولا عقلي بكهفِ الكونِ غابا
ولا أهديتُ غانيةً خيالي
فطارتْ في جوانِبه عُقابا
ولا أسمعتُ ظامئةً كلاماً
أسالَ على مشاعرِها اللعابا
ولا دغدغتُ بالاشعار نهداً
ترقرقَ حولَ حلمتهِ رضابا
إذا عبث القريض بناي وجدي
نفحتُ الكونَ الحاناً عذابا
يزول بها عن الآذان وقرٌ
فتعشقُها وما كانتْ طرابا

***

مزيداً يا ثكالى النورِ حقداً
وضرباً دون آمالي حِجابا
فإنّي فوقَ إيماني وصبري
حشدْتُ لكن أطباعاً غِضابا
جلوتُ بها عن الظُّلُماتِ مكراً
فألقتْ عن ملامِحِها النقابا
وفي أعماق آهاتي شعاعٌ
يعزُّ على الكواكبِ أن يُذابا

صعلوك من القدس القديمة

ترفضني .. تأباني كلُّ مشاريعِ العالم
في أي مكانٍ لا أجد مكانْ
قتلوا فِيَّ الإنسانية والإنسانْ
***
في بعضِ الصالوناتِ
يُردِّد أني
ما عدتُ فلسطينياً
فلماذا.. يا عازف لحني
لأن جميعَ الجمعيات «الوطنيةِ» ترفضني
تزعمُ إني سكيرٌ عربيدْ
أسكرُ في رمضانَ
ولا أصحو في العيدْ
وبأني أحترمُ الأخلاق المنحلَّةْ
سبحانَ الخمرة
إن كانَ الكأسُ
يدقُّ الفأسْ

فوقَ رؤوسِ «هلافيتِ» الأرضِ المحتلة

***

يا كل قواميس العالم
في الأرض المحتلة كل «التعريس»
فلماذا
يعتبرُ مُجوني في قارِعَةِ طريقٍ عامْ
عيباً وحرامْ
لأن الماء الآتي من جسرِ الأردنْ
لا يشرب إلا خلفَ كواليسْ
فلتكنِ الجنةُ مأوى إبليس

***

يا فقراءَ الأرضِ المحتلةِ «شوفوا»
خلفَ ستاراتِ المخملِ والخزْ
كيفَ تكونُ «الهيصة» والهزْ

***

ما عاد اللّٰه يرفرفُ فوق الأرضِ المحتلَّةْ
لا في نفحةَ.. لا في السبعِ.. ولا في الرملة
وإلا..
أين الصلواتُ وأين الدعواتْ
في كل صوامعنا والبيعاتْ
كيف احترقَ الأقصى
أين الخوري المنسحبُ
وأين الشيخ الهاربُ من زنزانته كي يُخصى

يا فقراء الأرض المحتلة
هذا زمن الكفرْ
ليسَ بذاتِ اللّٰه.. فللهِ تجلَّةْ
لكن بالذاتِ المهزومةِ والنفسِ المعتلة
كفر بالقوادينَ هنا وهناك
وكفر بموازينِ الأرض «المختلَّةْ»

***

يا فقراءِ الارض المحتلة
تعالوا نتمرَّدْ
ما عُدنا نملك شيئاً
فعلامٍ نخافْ
لا فرشٌ يحضننا في الليل
ولا يدفئنا في البرد لِحافْ
والخبز إذا صالحنا نبلعه حافْ
وهنا وهناك المتخمُ والمنعمُ ذو الأرداف
فلنحطمهم وندمرْهم
هذا زمن الثورة
يا أبناء الأرض المجروحة
والثورة ناموسٌ لا يؤمن بالإجحافْ

***

ليست في الكأس رزانَةْ
فالخمرةُ هذيَانٌ وجنونٌ ودمامَةْ
من قال

إذا كنتم أنتم
بين أواني الكرةِ الأرضيةِ
سلاتِ قمامَةْ

***

موتوا غيظاً
أو موتوا في شماتة
فأنا لا أؤمن فيكم
ما أنتم في نظري إلا جيفاً
يا أبناء «الفلاتة»
يا، لطعاتِ كراسي الحكم
لا بدَّ تموتون -برغمِ المالِ- شَحاتة!

***

يا كل قصور الأرض المحتلة نامي
فالويسكي كالماء
وأنا أشربُ أرداَ أنواعِ الكونياك
لكي أنسى
أن اللّٰه يعيرنا بنبي جاءْ
ليؤكد أن هناك فوارقَ طبقية
وبأن لبطن المسحوقين رجاءْ
في رب جبارٍ مكَّارٍ
يرزقهم من حيثٍ يشاءْ
فهل صاروا مَعَكم في «الرزقِ» سواءْ؟!

***

يسألني ولدي يا «بابا»
في السوق مخابزُ مليانة
فلماذا نحن نجوع
فأجبت على عجل «مزنوقاً»
ما زلنا نتمتع يا «بابا»
بوجود «البالوع»

***

في رحم الصحفيَّةِ ألف دماغ ودماغ
لا أبقى اللّه رؤوساً
تخضعُ لليرا «الصاغ»
عجباً للدنيا
اُنقلبت أحوالُ الدنيا من غير بلاغْ
إبنُ المأجورةِ في المكتبِ
منفوشٌ كالطاووسْ
ماذا يفعلُ.. لا أدري
ينفرُ مني القولُ ويعتذرُ القاموس
أهنأ بالحكم
فأمثالك أكثرُ ما نحسبُ يا قابوس

***

أصبحت «رزيلاً»
يا عيب الشوم
صار الهازم كالمهزوم
لكن نعيبَ البوم

ليؤكد أن الحارمَ يخشى المحروم
سبحانَ النكبة
سبحانَ النكبة
سبحان الدعمِ المبعوثِ صموداً
في جيب «المبعوصِ» نقوداً
فلتهتفْ يا نوابْ
يسقطُ أولادُ القحبةْ
يسقطُ أولادُ القحبةْ

***

صعلوكٌ من قدسِ الاقداسِ أنا
لكنَّ عواطفَ وجداني
تتألَّقُ في جَوِّزقاق الحزنِ سَنَا
فماذا أنتم؟
ما زلتم أوسخَ من أن تنتسبوا لهنا

***

الغضبُ الساطعُ آتٍ
قالتْ فيروزْ
أما تحت الزيتوناتْ
فماتَ النيروزْ
لكني أؤمن معكم
بعد شتاءِ الرجعياتْ
يُثمرُ تمُّوزْ

إشـرب

أَلَـى حسـانٍ؟ أم لجينُ الـراحِ
ذاك الـذي ينصبُّ فـي الأقـداحِ ؟
إشـربْ فإنَّكَ بالمدامةِ بالغٌ
ما قالَ روحُ اللّٰه فـي الإصحـاح
يلتاعُ ذو همٍّ ليلثمَ ثغرها
أفلا تـُعانِـق قِبْلَةَ الافـــراحِ ؟!
فإذا جفاكَ الخِلُّ فاقصدْ ساحها
تجِدِ الوصالَ جميعَهُ فـي السَّاحِ
وإذا ينادي للصلاةِ مؤذنٌ
فـدعِ الصـلاةَ لأهلها الصـُّلاحِ
فـَهُمُ السكارى في محبةِ ربهم
أوَكانَ يُكْرَهُ ربُّهـم فـي الـرَّاحِ !؟

في الحي الحزين

خمرٌ ورزٌّ في بطونِ فراخِ
تُجلى بهنَّ وساخةُ الامخاخِ
كم جَرَّبَتْ شَرَكُ الهمومِ تصيُّدي
رغمَ الشبابِ وحاولت إرضاخي
فرميتُها صهباءَ في كونياكها
طاوي الشباكِ وكاسرُ الافخاخِ
لن يهدمَ الحيَّ الحزينَ تطوُّحي
وترنُّحي وتعربُدي وصراخي
سيظلُّ بُنيانُ المدينة قائماً
ما لم تنلهُ معاولُ «المعراخِ»*

* المعراخ هو حزب العمل الإسرائيلي الحاكم

سهرة للديك

حيِّ الخمورَ وبجِّلِ الكونياكا
فَبِغيرِ هذا لنْ تغيظَ عداكا
وإذا أتيتَ على الظَّما خمارةً
فاتركْ كلامَ الحاسدينَ وراكا
الخمرُ في دينِ الشبابِ محلَّلٌ
فَخُذِ اليقينَ ولا تكنْ شكَّاكا
ماذا يضيرُ اللّٰه منا.. سكرةٌ
أم سهرةٌ للديكِ حتى كاكا؟؟
إن أنتَ لم تلعنْ تميسَ كؤوسها
لعنتْ همومُك والحياةُ أباكا

المازة ترمس

إهتفْ معي صبحاً وردِّدِ في المسا
اللّه ما أقسى الزمانَ وأهلسا
واكتبْ على وجهِ العدالةِ جملةً
إن الذي خلَقَ الفوارقَ قد قسا

***

كنَّا طفارى والكؤوسُ كفيلةٌ
أن تجعلَ الطفران يَنسى ما نسى
في الجيبِ بعضُ دراهمٍ نأبى لها
طولَ البقاءِ تفهُّماً وتمرُّسا
إن الجيوب إذا تبيتُ فوارغاً
تُضفي على السكران عقلاً كيِّسا
لا عاش قرشٌ والخمورُ دفينةٌ
خلفَ الزجاجِ وقد عَقَدْنا المجلسا
قلنا وساقينا يقلِّب طرفَهُ
ونكادُ من فَرْط الحيا أن نهمسا

والجوُّ فخفخةٌ يفيضُ طلاوةً
والوردُ يغنجُ للنسيم تميُّسا
هاتِ اسقنا البيرا فإن مَذاقها
في الحرِّ يفتحُ للصدورِ تنفسا
جلستْ على نُضدٍ كأنَّ حُبابها
يأبى لخفةِ دمِّهِ أن يَجْلسا
ولعلَّ ممَّا زاد طيني بِلةً
أو زادَ في كومِ القُمامةِ خُنفسا
انَّا على جوعٍ نكادُ نقيئُها
ونمزُّ من نِعَمِ المُهيمنِ تُرمسا
يا لعنةَ التاريخِ صُبي كأسَها
إني خَزِقْتُ الجيبتينِ تحسُّسا
لا بأسَ يا زمن العجائبِ أنْ أرى
أحسو مرارةَ طعمِها فيمنْ حسا
يأبى الكريمُ على الزمانِ مهانةً
لولا ظروفٌ في الزمانِ إذا قسا
يا دهرُ خُنْ ما شئتَ واغدرْ مدبرا
إني أراك على الطبائعِ مُومَسا
لا خيرَ فيك ولا لعهدِكَ ذمةٌ
حتى قتلتَ «لعلَّ» فينا أو «عسى»
سيانِ جئتَ علي يوما مقبلاً
أو جئت ترميني بحالٍ أنحسا

فلسوف أقضي الحالتينِ على الهوى
متصعلكاً في الماجنينَ ومفلسا
لا بد من ويسكي ترن كؤوسُهُ
لا بد من لحمٍ وإن طال الكسا

همسة في أذن الكادحين

دعْ عنكَ دين الحنبليَّة وانْصتْ على مضضٍ إليّهْ
ما عاد ينفعُنا التأدُّبُ والفصولُ التربويةْ
خيرُ الحديثِ إذا أردْتَ هو الحديثُ على السجيةْ
واتْركْ مراعاةَ «الأصول» لأهلِها أصلِ البلية
سُحِقتْ عظامُك، واللحومُ على مآدبهم طرية
ويكادُ يقتلكَ الطوى، وهمو حياتهم هنية
وظمئْتَ والويسكي هناك كأنه في الكأس مية
سكروا صبوحا والغبوقَ وأنتَ تكدحُ للعشية
خيشاً لبستَ، فهَل نظرتَ إلى الثياب المخملية
وسكنْتَ كوخاً واسْتَرَاحوا في القصور اليَلدزية

***

عرقُ الجبين تصبّه، والمالُ للفئةِ الغنية
ضحكوا عليك، على الدوام، فيا لخيْبتِكِ القوية
يتقرَّبونَ إليك فيما مهَدوا للصيد خَيَّة
يسْتكبرونَ فنحنُ في أنظارهم ناسٌ «شوية»
وحذاؤُكَ المثقوب أشرفُ من نفوسهم الدنية

رقصوا على كلِّ الحبال بكلِ خاصرةٍ ولِيَّة
شرُّ البليةِ أن تَرى الأوغاد من خير البرية
قالوا هو الحسدُ المقيتُ فلا تكُن للنار شيَّه
إخسِ عليك إذا فعلتَ فإنها بئسَ الخطية
يا صاحبي يتبررونَ فلا تكُنْ حسنَ الطوية
خدعوك بالدين الحنيف وبالاحاديثِ السنية
آمنتَ أنتَ، ودينُهم دينُ الفُروق العُنصرية
فاستعبدوك وما فطنْتَ إلى الاحابيلِ الذكية
دين الأواخرِ كالأوائلِ مغرقٌ في المصلحية
هل غرَّك الشيخ المعمَّم بالمتون الأزهرية
بالعدنِ والحور الحسان وبالوعود الأخروية
يدعوكَ للتقوى وخيرٌ منه فاجرةٌ شقية
يا أيها المسحوقُ كدحاً جاء وقتُ الأريحية
فإلى متى يا ابن الاكارم تستكين إلى الروية
أدعسْ على رأسِ الذين تحكموا في الأغلبية
ما كنت للصومِ الطويل وللمعاناةِ الزرية
ثار الحمارُ على الهوانِ وأنتَ لم تَبرحْ مطية
يا آكلَ المرار إن الشهدَ للنفس الأبية
عجباً فقد وضُحَ النهارُ وما فطنْتَ إلى القضية
استشهدِ التاريخَ فالتاريخُ ربُّ العبقرية
من ثارَ ضد الظلمِ سادَ ولَم يعدْ في التابعية

في صحة الله

تعطيني حلمكَ
إسمعني
يا ابنَ الملعونةِ
إخرسْ
الآن أقولُ بغير رجاءْ..
صلَّينا، صُمْنا، نمنا في حِضْن السُّوَرِ
قصاراً وطوالاً
فسَّرنا، ذبنا في الطبريِّ،
وسخسخنا في عبد الباسطِ
وحفظنا نصفَ أحاديث محمدْ
والأقوالَ المأثورةَ للخلفاءْ
إستوعبنا الفتنة،
عثمانُ «تولَّى»
وعليٌّ «تولَّى»
ومعاويةُ، يزيدُ، حمارُ الأمويين «تولَّى»،
وأبو ذرٍّ ينعم بالوحدةِ

لم تقتلْهُ شمسُ الصحراءْ!!؟
لستُ أطيلُ
حفظنا السيرةَ، تاريخَ الإسلامِ
فتوحاتِ المخزوميّ، وصقرِ قريشَ المحتلِّ
وأمجادَ السفاحينَ بسيفِ الإسلام
حفظنا ذلكَ من ظلِّ الألفِ إلى الياءْ
وفتحنا في الأقصى بنكاً للدعواتِ
وحررنا للّه، لأمرِ اللّهِ
المتآمرِ بالصمتِ القاهرِ
حررنا شيكاً
مليونَ دعاءٍ ودعاءْ
أصبحَ - يا ابنَ المسحوقةِ
ربُّك مليونيراً
والشعبُ العربيُّ المتخمُ بالجوعْ
يلحسُ «وجه» اللّهِ صباحَ مساء،
فبأي الآلاءِ
يكذبُ ربُّك، ربُّ الجوعِ
بأي الآلاء..؟!
ليتَ، لعلَّ أمانيك الموبوءةُ بالعقمِ
المغتالة بينَ متاريسِ الحرمانِ
تموت، ولم تمسس نهد الشبعِ
وتقنعني؟!!
أن الثورة ما زرعت قنبلةً في الأحشاءْ!

إفتح بوابات التاريخ على مصراعيها
وتنسم رائحةَ القتلى المصلوبينَ
على ساحاتِ الحربِ الدينيةِ
ثمَّ تفكَّرْ في خلقِ اللّٰهِ
وذاتِ اللّٰهِ
فهلْ كان الدينُ سوى سُمٍّ
ينهشُ أجسادَ الفقراءْ؟!
هل كانَ اللّٰه كريما؟
سبحانَ الجوع!!
هل كان اللّٰه رحيماً؟
سبحانَ الحرب!
هل كان اللّٰه الاسماءَ الحسنى؟
سبحِ تسعاً في تسعين مخيمَ قهرٍ
تفترشُ الحزن على كل عراء..
يا قائم ليل
يَبْهرُكَ المحرابُ وإعجازُ القرآنِ
ولا يبهركَ الإعجازُ الناخرُ
في عظمِ المسحوقينَ
على بعدِ رغيفٍ
لا يعجنُهُ المعراجُ
ولا يخبزه الإسراء
قاطعني الآن
سأشربُ كأساً،

الحمدُ لكلِ النشواتِ
لساني يسقطُ في الصحوِ
فدعني أسكرْ
ولعلكَ تثبتُ
أن الخمرَ
كما في الآيةِ
رجسٌ من عملِ الشيطانِ
فأينَ الشيطانُ؟
إذا كان الإنسانُ الكاملُ
في رأي الأديانِ هُراء؟!
ويجوعُ المتخم في رمضانَ
هلالاً لهلالْ
والمسحوقونَ يجوعون أثنيْ عشرَ هلالاً
من طنجةَ حتى مانيلا
والوجهُ الآخرُ للكرةِ الأرضيةِ
يشبُعُ مليونَ هلالٍ
وشهابٍ
يتبرَّزُ في القمرِ وفي المريخِ
فهل تمطرُ دنياكَ خراءْ!!؟

يا ابنَ المسحوقةِ
اني أسكرْ
تأخذني النشوةُ

سقطتْ كل الكلماتِ

فلا تنطقْ حرفَ هجاءْ..

باقة شوك على قبر فرعون

رثائي إليْكَ كحزني عليك
وحزني عليكَ
كحزنِ الذبيحِ على الذابحِ
تكادُ القوافي تضجُّ رثاءً
عليكَ بلا منطقٍ كابحِ
فأُمْسِكُها أن تُجَنَّ التياعاً
وتبصقَ في وجهِكَ الكالحِ !!

أرثي الخجلَ
وأرثي القدسَ
وأرثي مصرَ
ولا أرثي في مصرَ السادات
لم يدرك هذا المجنونُ سلاماً
أن اليومَ الأسودَ آتْ
وكنانةُ أرضِ اللّٰهِ منوَّرةٌ
بزوالِ الوجهِ المخترعِ الأعظمِ
لجميعِ التنزيلاتْ

يا طلَقاتِ النارِ
اخترقي القلبَ
اخترقي العنقَ المربوطَ بواشنْطُنَ
واخترقي الصدرَ
المدعوس بأقدامِ «الشالومات»

***

هنيئاً للكنانَةْ
هنيئاً للزنودِ السمرِ
حين تزيلُ بالنيرانِ
تمثالَ المهانةِ
هنيئاً أيها الخيَّالُ
يا منْ
زجَّ في التِّنين عن قربِ سنانَهْ
هنيئاً أيها الأحرارُ
إن الأرضَ تعلنُ:
انه لا بد من أن ينتهي
عصرُ القِنانَةْ

***

أرأيتَ يا ساداتُ
كيفَ تكون آخرةُ الجهولِ؟
أرأيت كيفَ مبادرةُ السلامِ
تصدعتْ بين العمالةِ والعميلِ
مالت بك الأحداثُ

يا فرعونَ مصرَ
وكنتَ مِنْ فَرْطِ الغرورِ
تقولُ للأحداثِ: ميلي
يا مالئ الدنيا صراخاً جاهلاً
أرأيت كيفَ:
يموتُ صوتُ المستحيل؟؟

***

يا سادات العربِ رأيتمْ
ما حلَّ بفرعون
فهل يتعظُ مماليكُ البيتِ الأبيَضِ
أنَّ مصيرَ
سماسرةِ التسويةِ السلميةِ محتومْ
هل يتعظُ ملوكُ النفطِ
المحروقينَ
على طياراتِ الايواكس
بأن الحاكمَ
لا يصنعُ تاريخاً..
بل يصنعُهُ المحكوم؟
يا كلَّ شعوبِ الأرضِ استمعي
بدأ الوطنُ العربيُّ
يصبُّ اللعناتِ على جلاديهِ
ولكنْ
نيرانا هذي المرة

والحلف الامريكي أهتزَّ
نعقت فوق خرائبهُ البومْ
ما أروعَ صوتَ الرشاشِ
وما أضيقَ صدرَ الجلادِ
وما أقصرَ عمرَ السفاحينَ
وما أسرعَ أن يسقطَ
ذياك الحلفُ المشؤومْ

«اما فوزي البكري فان القصائد القليلة التي نشرها في مجلة «البيادر» تشير الى شخصية متميزة ، وصوت يبشر بمستقبل شعري حافل ، وليس يقلل من قيمة قصائده ، النبرة النوابية (نسبة الى مظفر النواب) التي تتسلل الى بعضها.

«وفي اغنية ـ وتقول جارتنا العجوز ـ كلمات فوزي البكري ، لحن وغناء مصطفى الكرد مطالبة صريحة بالصمود والصبر على التعذيب والتنكيل»

خليل السواحري
في كتابه
«زمن الاحتلال»

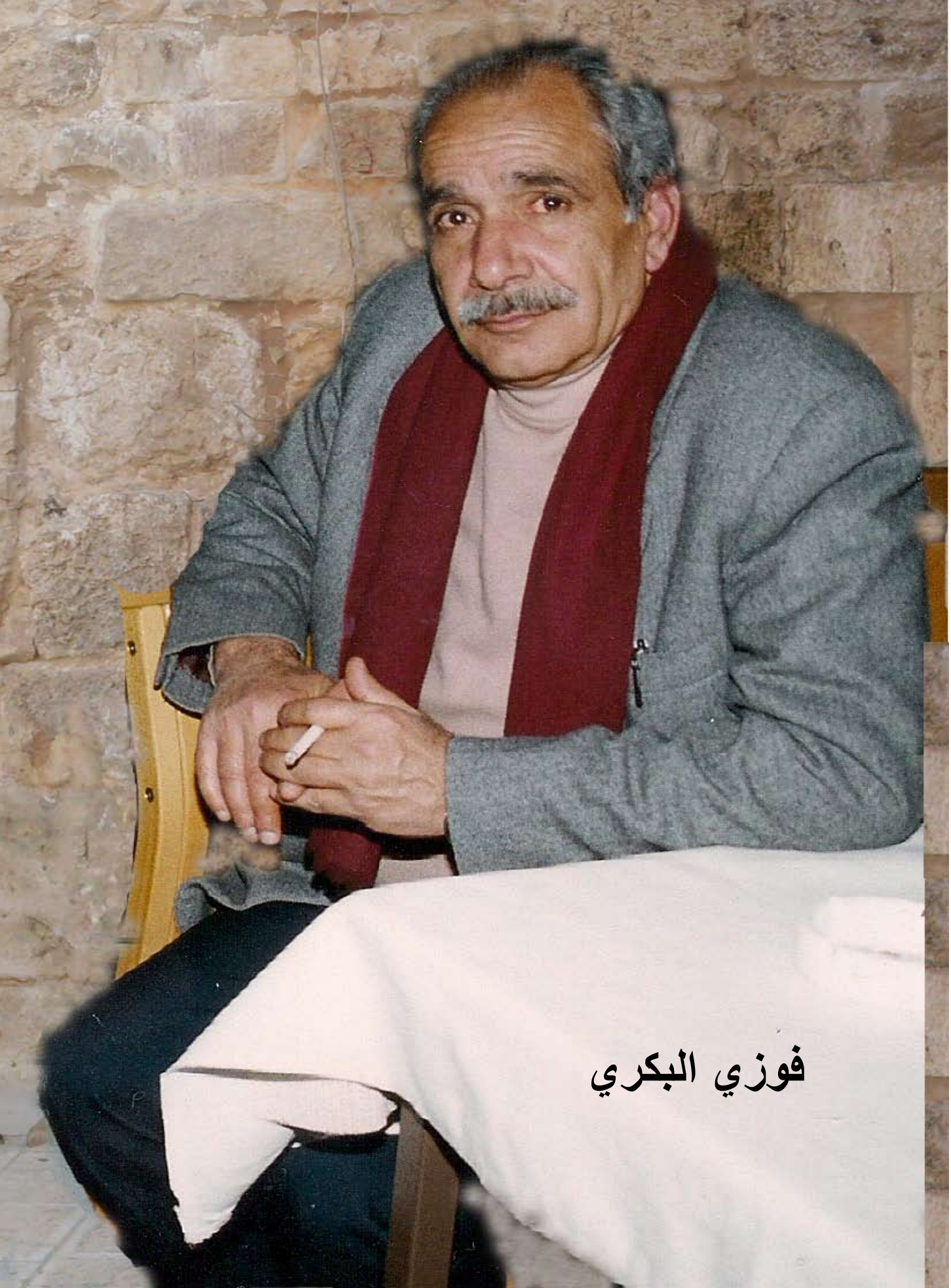
فوزي البكري

قيل عن فوزي البكري :

وفوزي - كما أزعم - هو أهم شعراء «الأرض المحتلة» حتى مع إهماله، ولكنَّها في حالته أهمية إبداعية لم تترجم إلى انجاز إعلامي لأنَّ فوزي ليس من أوغاد المرحلة.

الشاعر أحمد حسين

فوزي البكري، شاعر القدس القديمة أو ربما حزينها الوحيد ومهرها الحرون، اهتمام الشاعر بالقدس إنما هو تلاحم مع مكانه الوحيد في هذا العالم، دفاعا عن الألفة التاريخية بين الإنسان الفقير، بين الشاعر المرهف ووطنه.

الدكتور عادل سمارة

أما «أبو إسلام» فهو الشاعر الأول والأبرع، صعلوك من القدس القديمة، هو ظاهرة تتعزز بثقة في المشهد الثقافي الفلسطيني والمقدسي، لا يزال قابضاً على إنسانيته بالنواجذ. صاحب القناديل المضيئة في عتمة ليل المدينة المحتلة.

محمد حمزة غنايم

فوزي البكري، يكتب القصيدة، تتمرد عليه، لا يسعها صدره الكبير فيطلق سراحها، حتى لا تنفجر فيه، ويتناثر معها. يتنازل عن كيانه وكل ملامحه ويركب صهوة صعلكته. ويمد لسانه لكل من يرطن بلسان غير عربي في حواري القدس.

غريب عسقلاني

بعد تجربة الشاعر المقدسي فوزي البكري في الصعلكة، لم تتوفر لنا تجربة أخرى، نفخر بها، ننحني لها، كان البكري وما زال رجلاً غريباً عن محيطه وأمكنته وأصدقائه، غريباً بالمعنى الجمالي والإبداعي، لم يتورط يوماً بمدح مسؤول أو بتسلّق كتف أو السكوت أمام خطأ..

زياد خداش

ندرة من الشعراء ظلّوا قابضين على جمر مواقفهم، منذ بداياتهم وحتى نهاياتهم، وفوزي في طليعة هذه الندرة. شاعر لا يهادن ولا يساوم، فوزي الفقير، كريم اليد والروح، يعطيك من روحه خلاصتها.

الشاعر باسم النبريص